حجة اللّه

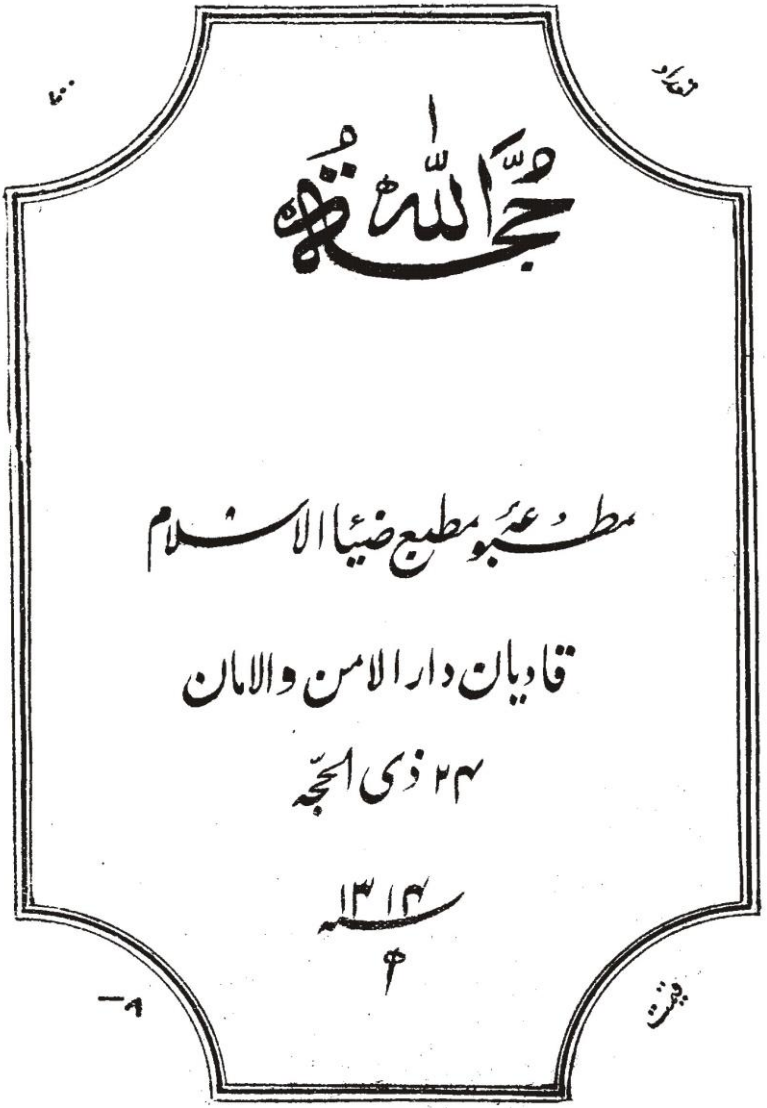

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

الإعلان فاسمعوا يا أهل العدوان

أيّها الناظرون! اعلَمُوا، رحِمكم الله ورزَقكم رزقًا حسنًا من التفضّلات الجليّة والألطاف الخفيّة، أن هذه رسالتي قد تمّت بالعناية الإلهيّة محفوفةً بالأسرار الأنيقة الربّانية، ومشتملةً على محاسن الأدب، والمِلَح البيانيّة؛ فكأنّها حديقة مخضرّة، تُغرّد فيها بلابل على دوحة الصفاء، وتُصبي ثمراتها قلوب الأدباء. ومَن أمعنَ فيها بإخلاص النيّة، وصدق الطويّة، فلا شكّ أنه يُقرّ بفصاحة كلماتها، وبراعة عباراتها، ويُقرّ بأنها أعلى وأملح من التدوينات الرسمية، وعليها طلاوة أكثر من المقالات الإنسانية. وأمّا الذي جُبِلَ على سيرة النقمة والعناد، فيجحد بفضلها ويترك متعمّدًا طريق القسط والسَداد، ولو كانت نفسه من المستيقنين. فنحن نُقبِل الآن على زُمر تلك المنكرين، ولقد وعيتَ أسماءهم فيما سَبَقَ مِن ذكر المكفّرين والمكذّبين.. أعني شيخ "البَطالة" وأمثاله من المفسّقين الفاسقين. فليُناضلوني في هذا ولو متظاهرين بأمثالهم، وليبرهنوا على كمالهم، وإلا كشفتُ عن سبّهم وأخزيتهم في أَعين جُهّالهم. ومن يكتب منهم كتابا كمثل هذه الرسالة، إلى ثلاثة أشهر أو إلى الأربعة، فقد كذّبني صدقًا وعدلاً، وأثبتَ أني لستُ من الحضرة الأحدية. فهل في الحيّ حيٌّ يقضي هذه الخطّة، ويُنجّي مِن التفرقة الأُمّةَ؟ وليستظهرْ بالأدباء إن كان جاهلا لا يعرف طرق الإنشاء، وليعلم أنه من المغلوبين. وسيذهب الله ببصره ببرق من

السماء، فيُعْشِيه كما يُعشِي الهجيرُ عينَ الحِرباء، ويُطفئ وطيسَ المفترين.

أيها المكذّبون الكذّابون! ما لكم لا تجيئون ولا تناضلون، وتدعون ثم لا تُبارِزون؟ ويلٌ لكم ولما تفعلون يا معشر الجاهلين!

المعْلِن

غلام أحمد القادياني

٢٦ مايو سنة ١٨٩٧م

ضميمةُ "حُجّة الله"

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

قُتِل الإنسان ما أكفرَه

أيها الناظرون، والأدباء المنقّدون! أنتم تعلمون أني كتبتُ من قبل هذا كتبًا في العربية، وزيّنتُها كالبيوت المشيّدة المزدانة، ورأيتم أنها تحاكي الدُرر العمّانية، وتحاسي الدِرَرَ العرفانيّة. وكنتُ أتوقع أنّ العلماء يعُدّونها من الآيات، ويعقدون لِزَوْري حُبُكَ النِّطاق بصحّة النيّات، وما زِلْتُ أسلّي بالي بهذا الأمل، حتى وجدتُهم فاسدَ النيّة والعمل، وبدا أن فراستي قد أخطأتْ، وأعين العلماء ما انفتحت، وتراءى اليأسُ وآثارُ الرجاء انقطعتْ، وبلغ الأمر إلى حدٍّ أنّ الشيخ الذي هو للطالبين كسَدٍّ زرَى على مقالي، وتكلّم في أقوالي، وقال إنْ هو إلا قول رقيق وما هو بكلام جزلٍ، بل كسقطٍ وهزلٍ، وليس من غرر البيان، ولا من محاسن الكنايات والتبيان. وكل ما رصّعتُ في كتبي من الجواهر العربية، والنوادر الأدبية، واللطائف البيانية، والنكات المبتكَرة المصبية، أراد المفسدُ المذكور أن يُطفئ نورها، ويمنع ظهورها، ويجعل الناس من المنكرين أو المرتابين. ومع ذلك ادّعى أنه في الأدب رحيب الباع، خصيب الرباع، ومن المتفرّدين. وكذلك خدَع الناس بتلبيساته، وأضحك الأطفال بخزعبيلاته، وجاء بزُور مبين. وجئنا بلولوءٍ رَطْبٍ فما استجاد، ونفَضنا عليه عجماتٍ فما استحلى ثمارَنا وما أرَى

الوداد، بل زاد بُخلاً وعنادًا كالمستكبرين. وقال إن كُتب هذا الرجل مملوّة من الأغلاط والأغلوطات، ومُبعَّدة من لطائف الأدب ومُلح المحاورات، وليست كماء مَعين. فما حَكَمَ بما وجب، بل أخفى الحق ومنع وحجب، وتصدّى لخدع العوام بعد ما شُغف بالكلام. وكان يعلم أنّ كتم الشهادة مأثمة، وتكذيب الصادق معصية، ولكنه آثر الدنيا على الآخرة، والنفسَ الأمّارة على الحضرة الأحدية. وأراد الله أن يرفعه فأخلدَ إلى الأرض كالفاسقين. وليس في نفسه جوهر من غير تصلّفٍ كالنسوان، وخدع الناس بتزويق اللسان، وإنّه من المزوّرين. يريد أن يُطفئ نورًا، ظلما وزورًا، ويزيد الناس رهقًا وكفورًا، ويصرف عن الحق قومًا جاهلين. ووالله إنه لا يعلم ما البلاغة وأفنانها، وكيف يحق أداؤها وبيانها، وما وصل مقامًا من مقامات فهم الكلام، وإن هو كالأنعام، ومن المحرومين.

فالأمر الذي يُنجّي الناس من غوائل تزويراته، وهباء مقالاته، أن نعرض عليه كلامًا مِنّا وكلامًا آخر من بعض العرب العرباء، ونلبس عليه اسمنا واسم تلك الأدباء، ثم نقول أَنْبِئْنا بقولنا وقول هؤلاء، إن كنت في زرايتك من الصادقين. فإن عرفَ قولي وقولهم وأصاب فيما نوَى، وفرّق كفلق الحبّ من النوى، فنعطيه **خمسين رُوفية** صِلةً منّا أو غرامةً، ونحسب منه ذلك كرامةً، ونعُدّه من الأدباء الفاضلين، ونقبل أنه كان فيما زرَى من الصادقين. فإن كان راضيا بهذا الاختبار،

ومتصدّيًا لهذا المضمار، فليُخبرْنا بنيّة صالحة كالأبرار، وليُشِعْ هذا العزم في الجرائد والأخبار، كأهل الحق واليقين.

وأمّا أنا فبعد اطّلاعي على ذلك الاشتهار، سأرسل إليه أوراقا للاختبار، ليحكم الله بيني وبين هذا الكَفّار، وهو أحكم الحاكمين. وإني أرى مُذ أعوام، أنّ هذا الرجل لا يمتنع من الهذيان، ولا يتّقي أَخْذَ الله الديّان، فألجأني بخله إلى هذا الامتحان. فإن جاء المضمارَ وأثبت ما ادّعى، ومازَ كَلِمي من كلمات أخرى، فله ما سمع منّا ووعَى، وإن شمّر ذيله وانثنَى، وما طالبَنا ما وَعَدْنا وما انبرى، بل انساب ودخل جُحْره وانزوى، وما ترك التكذيب وما انتهى، فإنّ له جهنّم لا يموت فيها ولا يحيى، والسلام على من اتّبع الهدى.

المُعْلِن

مِيرزا غلام أحمد القادياني

٢٦ مايو سنة ١٨٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي جعَلني مَظهَرَ الآيات، وصيَّرني ظلَّ سيّدِ الكائنات، وجعل اسمي كاسمه بأنواع التفضّلات، فأتمّ النعم عليّ لأحمَدَه وأكون له أحمَدَ تحت السماوات، ونضَّر بي إيمان الناس ليُحمّدوني وأكون مُحَمَّدًا بين المخلوقات. فأنا أحمَدُ وأنا محمَّد كما جاء في الروايات، وأُعطيتُ حقيقةَ اسمَيْ نبيّنا فخرِ الموجودات، كانعكاس الصُوَر في المرآة، فنصلّي ونسلِّم على هذا النبي الأمّيّ الذي تنعكس أنواره في الصالحين والصالحات، وتُفتَح باسمه أبواب البركات، وتتم بنوره **حجّة الله** على الكافرين والكافرات؛ وعلى آله الطاهرين والطاهرات، وأصحابه المحبوبين والمحبوبات، وجميع عباد الله الصالحين.

أمّا بعد.. فاعلموا أيها الطالبون، والأخيار المسترشدون، أن الله أتم حجّتي على الأعداء، وأرَى لي الخوارق وأسبغَ من العطاء، ورأيتم كيف نزلت الآيات من السماء، وكيف فُتِحت الأبواب للطلباء، ثم الذين بخلوا يُنكرونني لاعنين، ويتركون الديانةَ والدين. جرّدوا مِن غير حقّ سيفَ العدوان، وشهّروا حُسام السبّ والطغيان، وما كانوا منتهين. إنهم يؤذونني ويسبّونني ويكفّرونني، ولا أعلم لِمَ يُكفّرونني. أيكفّرون رجلا يقول إني من المسلمين؟ يُصرّون على سبل الضلال والنكوب، فأين خوف الله وتقوى القلوب، وأين سِيَر الصالحين؟ أما جاءتهم الآيات؟ أما ظهرت البيّنات؟ أما حصحص الحق ورُفع الشبهات؟

أفتَعاهدوا على أنهم لا يرجعون إلى حقّ مبين؟ أو تقاسموا على أنهم يُصرّون على تكذيبٍ وتوهينٍ؟ أيُخوّفونني بالسبّ والشتم والتكفير، ويتربصون بي الدوائر بالحيل والتدابير؟ والله يعلم كيد الخائنين. إنه يعلم ما في نفسي ونفسهم، وإنه لا يُحب المفسدين. وإني عنده مكين أمين، وإن بيني وبينه سرّ لا يعلمه إلا هو، فويلٌ للمعتدين. أتحسب الأعداءُ أن العداوة خيرٌ لهم، بل هي شرّ لهم، لو كانوا متفكّرين. أيظنّون أنهم يهدّون ما بنتْه أنامل الرحمن؟ أو يجوحون ما غرسته أيدي الله ذي المجد والسلطان؟ كلا.. بل إنهم من المفتونين.

يا معشر الجهلاء والسفهاء.. وزُمر الأعداء والأشقياء! أأنتم تطفئون نور حضرة الكبرياء، أو تدوسون الصادقين؟ اتّقوا الله، ثم اتّقوا إن كنتم عاقلين. أيها الناس.. فارقِوا فُرُشَ الكَرَى، فإن الوقت قد دنَا، وإنّ أمر الله أتَى، وإنّه يريد ليُحيي الموتى. فهل تريدون حياة لا نزع بعده ولا رَدَى؟ وهل تحبّون أن يرضَى عنكم ربكم الأعلَى، أو تُصعّرون خدَّكم مُعرضين؟

واعلموا أني أُعطِيتُ **قميصَ الخِلافة**، وتسربلتُ لباسها من حضرة العزّة، فارحموا أنفسكم ولا تعتدوا كل الاعتداء، ألا ترون إلى ما تنزل من السماء، أما بقي فيكم رجل من المتّقين؟ ولو كان هذا الأمر من غير الرحمن، لمزّقه الله قبل تمزيقكم يا أهل العدوان. انظروا كيف عَنِتُّم بل مُتُّم في جُهد الصباح والمساء، ومددتم إلى الله يد المسألة والدعاء،

فرُدِدْتم مخذولين في الحافرة، وما حصل إلا إضاعة الوقت وزفرات الحسرة. فما لكم لا تتفكّرون في أقدار تنزل، ولا ترغبون في أنوار تُستكمل، أهذا فعل الإنسان؟ أهذا من الكاذب الدجّال الشيطان؟ فلا تُهلكوا أنفسكم بجهلات اللسان، واستعينوا متضرّعين.

يا حسرة عليكم! إنّكم لا تنظرون متوسّمين، وإذا نظرتم نظرتم لاعبين، ولا تُمعِنون خاشعين. أتُتركون في هذا اللهو واللعب، ولا تُقادون إلى نارٍ ذات اللهب، ولا تُسألون عمّا عملتم مستكبرين؟ لا تُلْهِكم أموالكم وأولادكم، فإن الحِمام ميعادكم، ثم قهرُ الله يصطادكم، وأين المفرّ من ربّ السماوات والأرضين؟

وقد رأيتم آية الكسوف فنسيتموها، ثم رأيتم آية الله في "آتم"◉ فكذّبتموها، وتجلّت لكم آية موت "أحمد بيك" فما قبلتموها، وقرأتم

◉ *هو القس عبد الله آتهم، كان مسلما ثم ارتدّ وتنصّر وأصبح نشيطا في نشر المسيحية. كان شغله الشاغل الإساءة إلى الإسلام ونبيه ﷺ، حتى سمّى نبيّنا المصطفى ﷺ دجالا- والعياذ بالله. فتحداه المسيح الموعود عليه السلام وخاض معه في ١٨٩٣م بمدينة أمرتسر الهندية في مناظرة استمرت خمسةَ عشر يوما. وأعلن حضرته عليه السلام عند نهاية المناظرة أن الله تعالى أنبأه بأن آتهم سيُلقى في الهاوية في خمسة عشر شهرا إلا أن يتوب. فارتعب من هذه النبوءة وامتنع نهائيا من الهجوم على الإسلام قلمًا ولسانًا. عندها ألهم الله تعالى إلى المسيح الموعود عليه السلام: "اطلع الله على همه وغمه" .. أي حين لاحظ الله خوفه وامتناعه عن الهجوم على الإسلام أنقذه من الهلاك. فأثار القساوسة والمشايخ ضجة أن النبوءة لم تتحقق. عندئذ طلب منه حضرة المسيح الموعود عليه السلام أن يعلن أنه لم يخَفْ ولم يرتعب من النبوءة ووعده بجائزة أيضا إذا حلف، لكنه لم يتجرأ عليه، وهكذا كتم الحق. فأخبر الله المسيح الموعود عليه السلام أنه سيَهلك قريبا جدا. فمات بعد مدة وجيزة من نشر النبوءة الأخيرة. (الناشر)*

كتبَ بلاغةٍ رائعة فيها آية فصاحة معجبة، فكأنكم ما قرأتموها، وظهرت في ندوة المذاهب* آياتٌ فنبذتموها، وقد كانت معها أنباء الغيب فما باليتموها، وكأيّنْ من آياتٍ شاهدتموها، فكأنّكم ما شاهدتموها، وكم من عجائب آنستموها، فما ظلّت لها أعناقكم خاضعين. والآن أشرقتْ آية في "عِجل جسد له خُوار"◈، فهل فيكم من يقبلها كالأحرار، أو تولّون مُدبرين؟

وتقولون إنّ "آتم" ما مات في الميعاد، وتعلمون أنه خاف فيه قهر رب العباد. ففكّروا ألم يجِبْ أن تُرْعَى شريطة الإلهام، ويؤخَّر أجله إلى يوم يُنكِر كاللئام؟ وقد سمعتم أنه ما تألّى إذا دُعِيَ للإقسام، وما ذهب مستغيثا إلى الحكّام، فانظروا.. أما تحقّقَ كذبه؟ أما بلغ الأمر إلى الإفحام؟ إنّه زجّى الزمانَ في صمتٍ وسكوت، وأتمّ الميعاد كمضطرب مبهوت، وألقى نفسه في متاعب وشوائب، وتراءى مُنكسرًا كأنّه رأَى

---

* *يشير حضرته عليه السلام إلى المؤتمر الأعظم للأديان الذي عُقد في لاهور أيام ٢٦ إلى ٢٩ ديسمبر عام ١٨٩٦م، واشترك فيه ممثّلو شتى الأديان، وصار مقاله عليه السلام فيه غالبًا على كل مقال آخر، مؤكدًا غلبة الإسلام على باقي الأديان، وذلك باعتراف الأصدقاء والأعداء. (الناشر)*

◈ *هذا الإلهام تلقاه المسيح الموعود عليه السلام عن هندوسي يدعى "ليكهرام البشاوري". كان "ليكهرام" سليط اللسان بذيء الكلام يعادي الإسلام عداء شديدًا ويسبّ النبي ﷺ سبًّا فاحشًا. وقد هلك بدعاء المسيح الموعود عليه السلام عليه في السادس من آذار/ مارس عام ١٨٩٧م، ولم يُعثر على قاتله، فكانت آيةً بينة على صدق الإسلام. وسيأتي ذكره في الكتاب بشيء من التفصيل. (الناشر)*

نوائب، وما تفوّه بكلمة يخالف الإسلام، حتى أكمل الأيام. فهذه القرائن تحكم ببداهةٍ أنه خشِي عظمة الإسلام بكمال خشية، وكان مِن قبل يُجادل المسلمين، ويُخاصم كالمؤذيين، وأمّا بعد نبأ الإلهام، فامتنع من النزاع والخصام، وصار كقلمٍ رديّ، وسيف صديّ، وجَهِلَ أوصافَ المِصافّ وأخلافَ الخِلاف، وكنتُ أعطيه أربعة آلاف، إذا قمت لإحلاف، فما تألّى، بل ولّى؛ فانظروا.. أهذه علامة الصادقين؟ ثم إذا انقضت أشهر الميعاد، فقسّى قلبه ورجع إلى الإنكار والعناد، فلذلك مات بعد ما أنكر وأبى، ولو أنكر في الميعاد لمات فيها وفنَى. فلا شك أن هذا النبأ سوّد وجوه المنكرين، و**أرغَمَ** مَعاطِسَ المكذّبين، وإنّ فيه آيات للطالبين، وإنّه مكتوب في كتابي "البراهين"، وإنه يوجد في أخبار خاتم النبيين، **فآمنوا به إن كنتم مؤمنين**.

ومن آياتي أنّ الأحرار نافسوا في مُصافاتي، وآثروا لعن الخَلق لموالاتي، وتركوا أنفسهم لنفائس نكاتي، وصَبَوا إلى رؤيتي وجاءوا تحت راياتي، إنّ في ذلك لآيات للمتدبّرين.

ومن آياتي أن العدا رغبوا عن معارضتي، بعد ما رأوا عارضتي، ووَجَدوا كالبخيل القالي، بعد ما وجدوا عذوبة مقالي، وأَلِفوا بالحسد كاللئام، بعد ما أَلْفَوا دُرَرَ الكلام، إنّ في ذلك لآيات للمتعمّقين.

ومن آياتي أني لبثتُ على ذلك عُمُرًا من الزمان، ولا يُمهَل مَن افترى على الله الديّان، إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين.

ومن آياتي أنّي أُعطيتُ عقيدةً يدرَأ عن الطالب كلَّ شبهة، ويكشف عن بيضة السرّ مُحَّ حقيقة، إنّ في ذلك لآيات للمستبصرين.

ومن آياتي أن الزمان نُظِمَ لي في سِلك الرفاق، وأُنْشِئَ المناسباتُ في الأنفس والآفاق، وكذلك أُرسِلتُ عند خفوق راية الإخفاق، إنّ في ذلك لآيات للمتفرّسين.

ومن آياتي أن الله شحّذ سيف بياني، وأرى جواهره بغِرارِ بُرهاني، إنّ في ذلك لآيات للناظرين.

ومن آياتي أن الحقّ ما استسرَّ عني حينًا، وجُعِل قلبي له عَرِينًا، وجُعِلتُ له مُجدِّدًا مُبينًا، إنّ في ذلك لآيات للمتأمّلين.

أيها الناس.. قد جاءكم لطفُ ربّ العباد، وتعهَّدَكم فضله تعهُّد العِهاد، عند إمحال البلاد، فلا تردّوا نعم الله إن كنتم شاكرين. أأنتم تهدّون ما شاد، أو تمنعون ما أراد؟ وقد رأيتم أنكم لم تستطيعوا أن تأتوا بكلامٍ من مثل كلامي، حتى سكتّم وصمتّم متندّمين من إفحامي. وأشيع الكتب المملوّة بالنكات النُخَب، ولطائف النظم وبدائع النثر ومحاسن الأدب، فما كان جوابكم إلا أن قلتم إنها من قوم آخرين. فانظروا كيف عجزتم ثم صُرفتْ قلوبكم عن الحق فصرتم قومًا عمين. حتى إذا احتدّ منكم الحِجاج، وامتدّ اللَجاج، ونبَح النجفيّ والغزنويّ، وقالا إنه جاهل غويّ، كتبتُ رسالتي هذه لتكون حُجّة على المفترين،

وليفتح الله بيني وبينكم وهو خير الفاتحين.

وقال الذي آذاني من جماعةِ عبد الجبّار، إن هذا دجّال وأكفر الكفّار، وجاهل لا يعلم العربيّة ولا شيئا من النكات والأسرار، وأعانه عليه قوم من العلماء المتبحّرين. وكذلك ظنَّ النجفيّ، فانظرْ كيف تشابهت قلوب المعتدين. وما أثبتَ أحدٌ منهم أنهم أُرضعوا ثدي الأدب، أو أُعطوا من العلوم النخب، وما جاءوني بالدبيب ولا بالخبيب، بل تكلّموا كالنساء متستّرين. وما أنكروا بصحّة النيّة، بل كبخيل خاطِبِ الدنيا الدنيّة. ونبّههم الله فما تنبّهوا، وأيقظتهم الآيات فما استيقظوا. ألم يروا آية كبرى، إذ أهراقَ قاتلٌ دمًا وأولغَ فيه المِدَى؟ وكان المقتول "آرية" خبيثا ومن العدا. فأبكى الله مَن سخِر من الدين وسبّ وهجا، وألقاه في عذاب لا يتقضّى، ونارٍ لا يموت فيها ولا يحيى، وضيَّع كل ما صنع وهدّم كل ما علا، إنّ في ذلك لآيات لأولي النهى. وكان نبأ "آتم" يَحكِي السُها، بما خفِي من أعين العُمي وما تجلّى، فألقت هذه الأياةُ عليه رداءها، فأشرقا كشمس الضحى، وأضاءا عقول العاقلين وجذبا إلى الحق من أتى. وهذه آية عذراء، وشمس بيضاء، فليهتدِ من شاء، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. وإنها تشفي النفس، وتنفي اللبس، وتوضح المعمَّى، وتكشف السر عن ساقه والغُمَّى، وتُتمّ الحجّة على المجرمين.

فيا حسرة على المخالفين! إنهم يتركون أحكم الحاكمين. فكأنّ الله

شرّقَ وهم غرّبوا، ودعا لجمع الثمار وهم احتطبوا، وأمر أن يؤتوني عَذْبًا فعذَّبوا، وما اجتنبوا الأذى بل كادوا أن يُجنِّبوا، فردّ الله نيّاتهم عليهم فانقلبوا مخذولين.

ومنهم رجل من الغزني يسمّونه عبد الحق، وإنه سبّ وشتَم ووثَب سفاهةً كالبقّ. وإنه فُوَيسقةٌ يُذعِر الأسودَ في جُحره بالغقّ. وإنّ الخنّاس زقَّه فبالغَ في الزقّ. وإنه كذّب آية الكسوف كما كُذِّبَ مِن قبل آيةُ القمر المنشق. إن الشيطان لقَّ عينَه فذهب ببصره باللقّ. وما نَقَّ إلاّ كدجاجة فنذبحه بمُدَى الحق، ونُريه جزاء النقّ، فما ينجو منّا بالهرب والهقّ، ولا ينفعه كيد الكائدين. وإنّه أرسل إليّ كتابه المملوّ من السبّ والتكفير، وخدع الناس بأنواع الدقارير، وذكر فيه كتابي وهذَى، وقال أهذا من هذا؟ كلا بل إنه من النُوكَى، ولا يكاد يُبِين. وخاطبني وادّعى كعارف الحقيقة، وقال إنك لست مؤلّف هذه الكتب الأنيقة، ولا أبا عُذر تلك الرسائل الرشيقة، والنكات الدقيقة العميقة، بل استمليتَها مِن رجال هذه الصناعة، ثم عزوتَها إلى نفسك لتُحمَد بالفضل والبراعة، وإنّا نعرف مبلغ علمك وما كنّا غافلين.

وشابَهَه في قوله شيخ طويل اللسان، كثير الهذيان، وزعم أنه من فضلاء الزمان، وأنه نَجَفيٌّ ومن المتشيّعين. وإنه أرسل إليّ مكتوبه في العربية، ليخدع الناس بالكلم الملفّقة، ولتعظّمه قلوب العامة وليستميل إليه زُمرَ الجاهلين. وما كان قوله إلا فُضلة قول الفضلاء، وعَذِرةُ

كلمتهم العذراء. فالعجب من جهله، إنه ما خاف إزراء القادحين، ووقف موقف مندمة، وما أرى الوجه كالمتندّمين. بل إنه مع ذلك بلّغ السبّ والشتم إلى الكمال، وما غادر سبًّا إلا كتبه كالسفيه الرزال، ولا يعلم ما الإيمان وما شِيَم المؤمنين. ومثل قلبه المنقبض كمثل يومٍ جوُّه مُزْمَهِرٌّ ودَجْنُه مُكفهرٌّ، عاري الجِلدة، بادي الجُردة، شقيٌّ خسِر في الدنيا والدين. يسُبّني ويشتمني بطغواه، ولا ينظر إلى مآل سابٍّ من "الآرية" ومأواه، وإن السعيد من اتّعظ بسواه. وأنّى له الرشد والهدى، وإنه لا يعلم ما التُّقى، ولا الأدب المنتقَى، وإنه سلك سُبل الهالكين. لا يُبالي الحشر وأهواله، ولا قَهْرَ الله ونكاله، وكل ما كتب فليس إلا ككيدٍ، أو أحبولة صيدٍ، أراد أن يفتن قلوب الجماعة، بافتنانه في البراعة، وأرعفَ كفُّه اليَراعَ، ليُرِيَ السفهاء البَعاعَ، ولكنه هتك أستاره، وأرى في كل قدمٍ عثاره، وأفضى في حديث يُفضِحه، ودخل نارًا تلفَحه، فمثله كمثل رجل شهّر خزيَه بدفّه، أو جدَع مارنَ أنفه بكفّه، فلحق بالملومين المخذولين. ومع ذلك سبّني ليجير فُقدانَ فضلِ بيانه بفضول لسانه، وأمّا نحن فلا نتأسّف على ما قلَى وقال، ولا نُطيل فيه المقال، فإنه من قوم تعوّدوا السبّ والانتصاب للإزراءات، وحسبوه لأنفسهم من أعظم الكمالات، فنستكفي بالله الافتنانَ بمفترياته، ونعوذ به من نيّاته وجهلاته، وما نعطف إلى السبّ كما عطف هو من العناد، ونُفوِّض أمرنا إلى رب العباد، وهو أحكم الحاكمين. وكيف

يكذّبني مع أنه ما نقض براهيني، وما دوّن كتدويني، وما تصدّيتُ لدعوى ما كان معه الدلائل، بل عرضتُ دلائل أزيدَ مما يسأل السائل، وما كان كلامي بالغيب بضنين.

وقد ثبت عند جميع الحُكّام، وولاة الأحكام، أن الدعاوي تجب قبولها بعد الأدلّة، كما تجب الأعياد بعد الأهلّة، وكنتُ ادّعيت أني أنا المسيح الموعود، والإمام المهدي المعهود، فأرى الله آياته على ذلك الادّعاء، وسَكَّتَ وبَكَّتَ زُمرَ الأعداء، وأرى آيةً تارةً في زيّ الإيجاد، وأخرى في صورة الإعدام والإفناد، وأعجزَ الأعداءَ مرّة بخوارق الأقوال، وأخرى أخزاهم بعجائب الأفعال. وأيّدني ربي في كل موطن ومقام، وما بقِي دقيقة من تبكيت وإفحام، ومُزِّقوا كل ممزّق من الله مُخزي المفسدين. ثم قيّض قدر الله لنصبهم ووصبهم، أنهم طعنوا في علمي وفخروا ببراعتهم وأدبهم، وكانوا عليها مُصرّين، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

فوالله ما فكّرتُ في الإملاء والإنشاء، وما كنتُ من الأدباء والفصحاء، وما احتاج يَراعي إلى من يُراعي كالرفقاء، بل كنتُ لا أعلم ما البلاغة والبراعة، ولا أدري كيف تحصل هذه الصناعة. فبينما أنا في حيرة من هذه الإزراء، وقد تواترَ طعنهم كالسفهاء، إذ صُبّ على قلبي نورٌ من السماء، ونزل عليّ شيء كنزول الضياء، فصرتُ ذا مَقْوَل جريٍّ، وقولٍ سحبانيّ، فتبارك الله أحسن الخالقين. ولكن ما تسلّتْ به

عمايات هذه العلماء، وظنّوا أن رجلا أعانني أو جمعًا من الفضلاء، وأنها ثمرة شجرة الآخرين. ثم بدا لهم أن يُعارضوني مُشافهين، فإذا قمتُ فكأنّهم كانوا من الميّتين. والآن ما بقي في كفّهم إلا الرفث والإيذاء، وكذلك سبَّني النجفيّ وما يدري ما الحياء. ولكنّا لا ندفع السبّ بالسبّ، وما كان لِحَمامٍ أن يُحجِر نفسه كالضبّ، أو كالتنّين. وما نشكوه على ما فعل، ولا نتأسّف على ما افتعل، فإنهم قوم ما عُصم من ألسنهم خاتم النبيين، بل الله الذي هو أحكم الحاكمين، ولا خلفاء نبي الله ولا أمّهات المؤمنين.

ألا ترى كيف ظنّوا ظنّ السوء في حضرة أصدق الصادقين، وكذّبوا نبأ "الاستخلاف" وقالوا إنّ عليًّا من المظلومين، فأرادوا هدم ما شاد الرحمن، وكفروا بما جاء به القرآن، وما هذا إلا ظلم مبين. وقالوا إنّ عليًّا أنفد عمره مُبتلًى بلَقْوَةِ النفاق، وما خُلِقَ في طينته جرأةُ الصدق وما تفوَّقَ دَرَّ إخلاصِ الأخلاق، وإذا استُخلفَ الكفّارُ فما أبى، بل أطاعهم وعقد لهم مع رفقته الحُبا. أَمَرَ أمرُ الإسلام فآثرَ الإنصات، وأُمِّرَ الفُسّاق فمعهم أكل وبات، وما ذمّهم بل أنشد في حمدهم الأبيات، وكان هذا خُلقه حتى مات، أهذا هو أسدُ المتشيّعين؟

وقالوا إنه عارضَ أُمَّه الصدّيقةَ، وما بالى الشريعة ولا الطريقة، ولم يكن بَرًّا بوالدته ولا تقيًّا، بل أعقَّ وصار جبّارًا شقيًّا. آثرَ النفاق ولم يصبر على ضرّ ومسغبة، واتّبعَ النفس وترَكَ التُّقى كأرض مُعطّلة. أسرَّ الغِلَّ ولكن ما

نظر بعينٍ غَضْبَى، واختار النفاق في كل قدم وحابَى، سجد لكل مَن تبرّعَ باللُهَى، ولو كان عدوَّ الدين والتُّقى، وإذا عُرِض عليه حُطامٌ فقال لنفسه: ها. وأثنى على الكافرين طمعًا في الموات، لا خوفا من عقوبات الموات، وصلّى خلفهم للصِلات، لا لبركات الصَلاة. اتّخذَ النفاق شِرْعة، والاقتباس منه نُجْعة، وصرف الله عنه المعارف، ولو كان زُمَرٌ مِن مَعارف. فما بقي معه من سَروات الصحابة ولا سرايا الملّة، حتى رجع مضطرًّا ومخذولاً إلى باب الصدّيق، وكان يعلم أنه كالزنديق، ولكن البطن ألجأه إليه، وما وجد حطبَ تَنُّورِ المِعِدة إلا لديه. وإنّ صاحِبَه* اغتال بعضَ ولده، فما امتنع من التردد إليه، وفجَعه بالفَدَك فما غارَ عليه، بل كان على بابه كالمعتكفين. وتواترَ عليه جور الشيخَين، حتى جرت عبرة العينَين كالعينَين، فما انتهى من الرجوع إلى هذين الكافرَين، بل أبدى الإطاعة بالنفاق والمِين. اشتدّ عليه غصبهم ونهبهم حتى صفَرت الراحة، وفُقدت الراحة، فما ترك لُقيّاهم، وما كره رَيّاهم، بل كان يستمرّ على بابهم، ويستمرئ فُضْلةَ أنيابهم، وما باعدَهم كالمستنكفين، بل كان يُخْلِقُ لهم دِيباجته، ويعرِض عليهم حاجته، ويدور على أبوابهم كالسائلين الملحفين. وكان عليه أن يترك المدينة وأهلها الكافرين المرتدّين، ولو كانوا من المترَفين والمخصِبين، بل كان من الواجب أن يقتعد مَهْرِيّا، ويعتقل سَمْهَرِيّا، ويُهاجر من أرضٍ إلى أرض، ويطلب رفعًا مِن خفض، ويُنادي بين الناس أن

* *ورد في الترجمة الأردية تحت هذه الكلمة: أي عمر رضي الله عنه. (الناشر)*

الصحابة ارتدوا كلهم أجمعون، ثم إذا أحسّ الإيمان من قوم فكان عليه أن يُلقي بأرضهم جِرانه، ويتخذهم جيرانه، ويجعلهم لنفسه معاونين، ويقتل أهلَ المدينة كلهم إن لم يكونوا مسلمين. فكيف تمضمضت مُقلته بنومها، وكان يرى الملّة قد اكفهرّ وجه يومها، وأمحلتْ بلاد الإيمان والمؤمنين. لِمَ لم يُهاجر ولم يلق نفسه في أرجاء آخرين، وكان أُعطِيَ منطق البلاغة، وكان يُزيِّن الكلمَ ويلوّنها كالدباغة، فما نزل عليه لَمْ يستعمل في استمالة الناس صناعته، وما أرى في الإصباء براعته، بل تمايلَ كل التمايل على النفاق والتقيّة، وحسبه للعدا كالرقية؟ أهذا فعلُ **أسدِ الله؟ كلاّ!** بل هو افتراؤكم يا معشر الكذّابين. إنه كان حاز من الفضائل مغنما، وكان بقوى الإيمان تَوْأمًا، فما اختار نفاقًا أينما انبعث، وما نافق في كل ما فعل ونفث، وما كان من المرائين. فلما نضنضتم في شأنه نضنضة الصلّ، وحملقتم إليه حملقة البازي المطلّ، مع دعاوي الحب والمصافاة، فكيف تقصّرون في غيره مع جذبات المعاداة؟

وكذلك استحقرتم خاتم الأنبياء، وقلتم دُفن معه الكافران من الأشقياء، يمينا وشمالا كالإخوان والأبناء. فانظروا إلى توهينكم يا معشر المجترئين. ونحن نستفسر منك أيها النجفيّ الضال، فأجب متحملا ولا يكبر عليك السؤال: أترضى أن تُدفَن أُمُّك المتوفّاة بين البغيتين الزانيتين الميّتين؟ أو يُقبَر أبوك في قبر المجذومَين الفاسقين؟ فإن كرهتَ فكيف رضيتَ بأن يُدفَن سيّد الكونَين بين جنبي الكافرَين الملعونَين؟

ولا يعصمه فضل الله من جوار الجارَين الجائرَين الخبيثَين؟ والكفر أكبر من الزنا وأشنع عند ذوي العينين. ففكّرْ كيف تحقّرون خاتم النبيين، وتسوّغون له مكروهات لا تسوّغون لأنفسكم ولا بنات وأمّهات ولا بنين.

تبًّا لكم ولما تعتقدون يا حُماةَ الفسق والمِيْن. بل دُفن بجوار رسول الله رجلان كانا صالحَين مطهّرَين مقرّبَين طيّبَين، وجعلهما الله رفقاء رسوله في الحياة وبعد الحَيْن، فالرفاقة هذه الرفاقة وقلَّ نظيره في الثقَلَين. فطوبى لهما أنهما معه عاشا، وفي مدينته وفي مأواه استُخلِفا، وفي حُجر روضته دُفِنا، ومِن جنّة مزاره أُدْنِيا، ومعه يُبعثان في يوم الدين.

وانظرْ إلى عليّ أنه إذا أُعطِيَ منصب الخلافة، فما بعَّد تربةَ هذين الإمامَيْن مِن روضة خير البريّة. فإن كان يزعم أنهما ليسا مؤمنَيْن طيّبَيْن، فكيف تركهما ولم يُنزِّه قبر رسول الله عن هذين القبرين؟ فالذنب كل الذنب على عنق ابن أبي طالب، كأنه لم يبال عِرض رسول الله مِن نفاق غالب، وما أرى الصدق كالمخلصين. **أهذا** أسد الله وضرغام الدين؟ **أهذا** هو الذي يُحسَب من أكابر المتّقين؟

فاعلموا أن تُقاةَ عليّ لا تثبت إلا بعد تقاة الصدّيق، ففكِّرْ ولا تعتدِ كالزنديق، ولا تُلق بأيديك إلى حفرة الهالكين. وإنكم تحبّون أن تُدفَنوا في أرض الكربلاء، وتظنّون أنكم تُغفَرون بمجاورة الأتقياء، فما ظنّكم بالسعيدَيْن اللذين دُفِنا إلى جنبَيْ نَبِيْهِ القدر خاتم النبيين وإمام

المتقين وسيّد الشافعين؟ ويل لكم لا تتفكّرون كالخاشعين، ولا يسفر عنكم زحام التعصّبات، ولا تُعطَون حسن التوفيقات، ولا تُمعِنون كالمستبصرين. وكيف نشكوكم على سبّكم وإنكم تلعنون الصحابة كلهم إلا قليلا كالمعدومين، وتلعنون أزواج رسول الله أمّهات المؤمنين، وتحسبون كتاب الله كلاما زِيْدَ عليه ونقص، وتقولون إنه بياض عثمان وأنه ليس من رب العالمين. فلعَنكم الله بفسقكم وصرتم قومًا عمين. وحسبتم الإسلام كواد غير ذي زرع خاليا من رجال الله المقرّبين. فأيُّ عِرض بقي مِن أيديكم يا معشر المسرفين؟

وأَرَيتُم تصوير عليّ كأنه أجبن الناس، وأطوع للخنّاس. اعتلق بأهداب الكافرين اعتلاق الحرباء بالأعواد، وآثر نار النفاق ليفيض عليه عُباب المراد. أخزى نفسه بتنافي قوله وفعله، ورضي بشيء لم يكن من أهله. وحمد الكافرين في المحافل، وأثنى عليهم في المجامع والقوافل، وحضر جنابهم وما ترك الطمع، حتى انزوى التأميل وانقمع، فما آووا لِمَفاقره، وما فرحوا بمحامد أُترعتْ في فقره، بل اغتصبوا حديقة فَدَكِه، وقاموا لفتكِه، وما أبرزوا له دينارًا، ليُطعِم بطنًا أمّارًا، وما كانوا راحمين. وما نزلت عليه من السماء مائدة، وما ظهرت من الخَلق فائدة، ودِيسَ تحت أقدام الجائرين. وكان لم يزل يدعو ويفتكر، ويصوغ ويكسر، ولم يكن من الفائزين. إلى أن انقطعت الحِيَل وركد النسيم، وحصحص التسليم، فخرَّ تقيةً على بابهم، وطلب القوت من جنابهم، وهم كانوا

مستكبرين. وغُلّقتْ عليه أبواب إجابة الدعاء، وسُدّتْ طرق الحيل والاهتداء. فانظرْ.. أهذه علامات عباد الله المؤيَّدين، وأمارات الصادقين المقبولين، وآثار المخلصين المتوكّلين؟ ثم انظرْ كيف حقّرتم شأن المرتضى الذي كان من المحبوبين الموفّقين؟

وأمّا ما طلبتَ مني آية من الآيات، فانظُرْ كيف أراك الله أجلَّ الكرامات، وهو أني كنتُ دعوت على رجل مفسد مُغْوٍ كالشيطان، وتضرّعتُ في الحضرة ليذيقه جزاء العدوان، فأخبرني ربّي أنه سيُقتَل ويُبعَّد من الإخوان، وكان اسمه "ليكهرام" وكان من البراهمة، وكان معتديا في السبّ والشتم وجاوز الحد في الخباثة. فلما دعوتُ عليه وتضرّعتُ في حضرة الباري، وأقبلت كل الإقبال على جبّاري، سُمِع دعائي في الحضرة، ومَنّ عليّ ربّي بالرحمة والنصرة، وبشّرني ربي بأنه يموت في ستّ سنة، في يوم دنا من يوم العيد بلا تفاوت، وأومأَ إلى ليلةِ يومِ الأحد، وإلى أنه يُقتَل بحكم الربّ الصمد، ولا يموت بمرضة، ويموت بقتلٍ مهيب مع حسرة، ليكون آية للطالبين. فلما انقضى من الميعاد قريبا من خمسة أعوام، واطمأن الهالك وزعم أن النبأ كان كأوهام، نزل أمر الله عليه وأتى بفتح مبين. **ففرحتُ** فرحةَ المطلَق من الإسار، وهزّةَ الناجي من حفرة التبار. وقبل أن يأتيني أحد بفصِّ خبر وفاته، بشّرني ربي بمماته، وكنتُ أفكّر في هذه البشارات، فإذا عبد الله جاء بالتبشيرات، وحصحص الحق وزهق الباطل وقُضِيَ الأمر من رب

الكائنات، وفرح المؤمنون كما وُعد من قبل واسودّ وجوه أهل المعاداة، وظهر أمر الله وهم كانوا كارهين. وكان هذا الرجل وقاحا طويل اللسان، كثير السب والهذيان، طلب مني آية ملحِّحًا في طلبه، وشرط لي أن أصرّح الميعاد في عُلَبِه، وأُصرّح يوم موته، مع إظهار شهر فوته، وأبيّن كيفية وفاته، ووقت مماته، وكتب كلها ثم طالب كالمصرّين. فلبّيتُه ممتطيا شِمِلّةَ عناية الرحمن، ومنتضيا سيف قهر الديّان. وكنت لفرط اللهج بظهور الآية، والطمعِ في إعلاء كلمة الملّة، أجاهد في الحضرة الأحدية، وأصرف في الدعاء ما جلّ وعظُم من القوّة، ثم تركت الدعاء بعد نزول السكينة، وتواتُر الوحي الدالّ على الإجابة. فلما انقضى أربع سنة من الميعاد، ودنا منّا عيد من الأعياد، أُلقيَ في نفسي أن أتوجّه مرّة ثانية إلى الدعاء، وكذلك أشار بعض الأصدقاء. فصبرت أنتظر الوقت والمحلَّ، وأتعلل بعسى ولعلَّ، **إلى أن أدركتُ ليلة القدر** في أواخر رمضان، فعرفتُ أن الوقت قد حان، ورأيت ليلةً نشرت أردية الاستجابة، ودعت الداعين إلى المأدبة، ونادت كل من خاف نابَ النُوَب، وبشّرت كل من أسلمه اليأس للكرب. فنهضتُ للدعاء نهوض البطل للبِراز، وأَصْلَتُّ لسان التضرّع كالعَضْب الجُراز، حتى أحلَّني التذلل مقعد العلاء، وبُشّرتُ بالإجابة من حضرة الكبرياء. فجلستُ كرجل يرجع برُدْنٍ ملآن، وقلبٍ جَذْلان، وسجدتُ لربّ يُجيب دعاء المضطرين. وكان في هذه الآية إعلاءُ كلمة الملّة، وإتمامُ الحجّة على

الكَفَرة الفَجَرة، ولكن الذين ملكوا أثاث عقل صغير، واتّسموا بحمق شهير، ما آمنوا بهذه البيّنات، وتركوا النور واتّبعوا سبل الظلمات، وجحدوا بآيات الله ظلمًا وزورًا، وكانوا قومًا بُورًا، ومن المستكبرين.

ويقولون إنّا نحن المسلمون! وليس فيهم سِيَر المسلمين. في قلوبهم مرض فيزيد الله مرضهم ويموتون محجوبين، إلاّ قليل منهم فإنهم من الراجعين. ويبغون عَرَض الدنيا وعِرضها ولا يتّقون الله رب العالمين. فسيُضرَب عليهم الذلّة ويُمْسُون أخا عَيلة، يسألون الناس ولا يملكون بِيْتَ ليلةٍ، كذلك يجزي الله الفاسقين.

وإذا قيل لهم آمِنوا بما أنزل الله من الآيات، قالوا لن نؤمن ولو كان إحياءُ الأموات، وطبَع الله على قلوبهم بما كانوا مفترين. وكانوا يستفتحون مِن قبل، فلما جاءهم الفتح وصاب النبل، أعرضوا عنه، فويل للمعرضين. وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، فما بالهم إذا ماتوا ظالمين. أبَقِيَ في كنانتهم مرماة، أو في قلوبهم مماراة؟ كلا.. بل مزّقهم الله كل ممزّق فلا يتحرّكون إلا كالمذبوحين. ألا يرون كيف يُفحَمون الفينة بعد الفينة، ويُخزَون كل عام مع رقصهم كالقينة، وتراءت سُحُبُهم جَهاما، ونُخُبُهم لئاما، ولمعانُهم ظلاما، وجَنانهم عَباما، فأيّ آيه بعده يؤمنون؟ أما أحلّني ربي محلَّ مَن يبلغ قصوى الطلب، ونقلني مِن وَقْدِ الكُرب إلى رَوح الطَرب، وأيّدني وأعانني، وأهان كل من أهانني، وأراني العيد، ووفّى المواعيد، وأرى الفتح كل مَن فتَح العين، وطوَى قصة كيف وأين، وأتمّ الحجّة على المنكرين.

فالحمد لله الذي كفاني من غير تدبيري، وجعل لي فرقانا وفرّق بين قبيلي ودبيري. وكنتم لا تُصْغُون إلى العظات، ولا تحفظونها بل تؤذون بالكلم المحفِظات، فدقَّ الله رأسكم بالآيات، وجاءكم سُلطانه بالرايات، وأدّبكم بالزجر والغضب، لتأخذوا نفوسكم بهذا الأدب. فلا تستنّوا استنان الجياد، وفكّروا في فعل ربّ العباد، لعلكم تُعصَمون كالراشدين. ما لكم تتكايدكم كلماتُ الحق والصواب، وتميلون من اليقين إلى الارتياب، ولا تتركون سبل المجرمين؟

وانظروا إلى آيات رأيتموها، وخوارق شاهدتموها، أهذه من المكائد الإنسانية، أو من الطاقة الربانية؟ وإني عزمتُ عليكم فاشهدوا إن كنتم مقسطين. وإنه مَن كان أُعطيَ حظًّا من التقوى، ولو كمُصاصة النوى، فلا يكتم شهادة أبدا. وأمّا الذي اتّبع الهوَى، وما خَشِيَ الله الأعلى، وما تواضعَ وما استحيَا، فليُظْهِرْ ما نحا وتمنّى، ولينكرِ اللهَ وما أولَى مِن جدوَى، ومِن نصرته والعدوَى، فسوف ينظر هل ينفعه كيده أو يكون من الهالكين.

أيها الناس، لا تُحقّروا الله والآيات، واستغفِروا الله وَاعْنُوا له من الفُرطات. أجَهِلْتم مآلَ قوم كذّبوا من قبل هذا الزمان، أو لكم براءة في زُبر الله الديّان؟ فعُوذوا بالله مِن ذات صدوركم إن كنتم خاشعين. قُوموا فُرادَى فرادَى، واجتنِبوا مَن عادى، ثم فكّروا أما أُوتيتم مثل ما أوتيَ قبلكم من الكفّار؟ أما جاءتكم آيات الله القهّار؟ أما حُقّرتم بتحقير

حضرة الكبرياء؟ أما قُضيتْ ديونكم كالغرماء؟ فَوَحَقِّ المنعِم الذي أحلَّني هذا المحلّ، وأرى لتصديقي العقد والحلّ، ووهب لي الولد وأهلك لي العِدا اللئام، وأرى في آياته الإيجاد والإعدام، وأرى في ندوة المذاهب إعجاز الإنشاء، ثم أرى في العجل المقتول إعجاز الإفناء، وأظهر آية القول وآية الفعل للناظرين، وأرى الكسوف والخسوف في رمضان، وأفحمكم ببلاغتي وعلّمني القرآن، فسكتّم بل متّم مع غلوّكم في العناد، وأُخزيتُم ورُميَت عظمتكم بالكساد، فأصبحتم كالمغبونين. إن هذا لحق فلا تكونوا من الممترين.

أيها الناس إني جئتكم من الرب القدير، فهل فيكم من يخشى قهر هذا الغيور الكبير، أو تمرّون بنا غافلين؟ وإنّكم تناهيتم في المكائد، وتماديتم في الحِيَل كالصائد، فهل رأيتم إلا الخذلان والحرمان؟ وهل وجدتم ما أردتم غيرَ أن تُضيّعوا الإيمان؟ فاتّقوا الله يا ذراري المسلمين! أما تنظرون كيف أتمّ الله لي قوله، وأجزلَ لي طَوله؟ فما لكم لا تلفِتون وجوهكم إلى آيات الخبير العلاّم، وتنصّلون لي أسهم الملام؟ أما رأيتم بطلَ زعمِكم، وخطأ وهمكم؟ فلا تقوموا بعده للذمّ، ولا تنحتوا فِرْية بعد العَجْم، وكُفّوا ألسنكم إن كنتم متقين. توبوا إلى الله كرجل سُقِطَ في يده، وخشِي مآله وسوء مقعده، وإن الله يحبّ التوّابين.

وإنّي عُلّمتُ مُذ بوركَتْ قدمي، وأُيِّدَ لِسْني وقلمي. إن الذين اتّخذوا العناد شِرعة، وكَلِمَ الخبثِ نُجعة، إنهم سيُخذَلون، ويُغلَبون ويُخسَأون،

ولا يلقون بُغْيتهم ولا يُنصَرون. وتحرقهم جذوتهم، فهم مِن جذوتهم يُعدَمون. وأمّا الذين سُعِدوا منهم فسيُهدَون بعد ضلالهم، ويتداركهم رُحْم ربّهم قبل نكالهم، فيستيقظون مُسترجعين، ويتركون حقدًا ولَدَدًا، ويخرّون على الأذقان سُجّدًا، ربنا اغفِرْ لنا إنّا كنّا خاطئين، فيغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين. فيومئذ ينعكس الأمر كله ويتجلّى الله للناظرين. وترى الناس يأتوننا أفواجًا، وترى الرحمة أمواجًا، وتتمّ كلمة ربنا صدقا وعدلا، وترى كيف ينير سراجا، فحينئذ تشرق أيّام الله وتفنى فتن المفسدين. ويُقضَى الأمر بإتمام الحجّة والإفحام، وتهلك الملل كلها غير الإسلام، وترى القَتَرة رهَقتْ وجوه الكافرين. فما لكم إلى ما تكذّبون؟ أتجعلون رزقكم أنكم تكفرون؟ أغَرَّتْكم كثرة علمائكم، وتظاهُر آرائكم؟ وقد رأيتم مبلغ علمكم وعلم فضلائكم، وشاهدتم نقص فهمكم ودهائكم، وآنستم كيف ولّيتم مدبرين.

وأيها النجفيّ.. لِمَ تؤذيني وقد رأيت آياتي، وشاهدتَ حُججي وبيّناتي؟ ثم أبيتَ وهذيتَ، فقاتلك الله كيف هذيتَ، وقد رأيت آثار الصادقين. أيها الثعلب.. أإنك تخوّفني وتُغري عليّ هذه الدولة، وما رأتْ منا الدولة إلا الإخلاص والنصرة، والله يحفظ عباده من مكائد الخبيثين. ثم إنّك اخترت في كل أمرٍ طريق الدجل والضيم، ورعدتَ كالجَهام لا كالغيم، ونطقت كالمعارف العرفاء مع البُعد والرَيْم، فما هذا.. أصبحتَ إبليس ذاتَ العُوَيْم، أو هذا من سِيَر المتشيّعين؟

وخاطبتني في رسالاتك، وقلت إني جُبتُ البلاد لمباراتك، وما هذا إلا زور مبين. بل الحق أنك سافرت لهوًى من الأهواء، وسمعتَ الريف، فطمِعتَ الرغيف كالفقراء، ووردتَ هذه الديار من برهة طويلة، لا من مدّة قليلة، فانظر إلى كذبك يا رئيس المفترين. وأظنّ أن بلادك أمحَلَتْ، أو المتربة عليك اشتدّت، ففررت إلى بلاد المخصِبين، لتدور حول البيوت، وتكسب القوت كبني غبراءَ مُشَقْشِقين. فما أجاءك إلا فقرك إلى مغنانا الخصيب، فألقيت بها جِرانك وآثرت الحبوب على الحبيب، ثم سترت الأمر يا مضطرم الأحشاء، ومضطرًّا إلى العَشاء، وتجافيتَ عن طرق الصادقين. هذا غرضك ومُنْيتك من هذا السفر، ولكنّك سترجع خائبا ولا ترى فائزا وجه الحَضَر؛ فاسترجِعْ على ضَلّة المسعَى، وإمحال المرعَى، وسوء الرجعَى، واخسَأْ فإنّك من المفسدين.

وإني التقطتُ لفظَك كلَّ ما نفثتَ، ورددتُ عليك جميع ما رفثتَ، فكلُّ ما سقط عليك فهو منك يا أخا الغول، وليس منّا إلا جواب الغويّ الجهول، وما كنّا سابقين. ولو كنت تخاف عِرضك وعزّتك، لهذّبتَ قولك ولفظتك، ولكن كنتَ من السفهاء السافلين. وأمّا نحن فلا يُصيبنا ضرّ بكلماتكم، ويرجع إليكم سهم جهلاتكم، وما تفترون كالفاسقين. وكذلك إذا اشتهرَ أَفِيْكةُ الأفّاكين على غير سفّاكين، فأمدتم الهنود كالمحتالين، وقلتم إن هذا الرجل كرجلكم فخُذوه إن كان من المغتالين. وما قام منكم أحد لنستوفي منه اليمينَ، وما كان أمر

أحدٍ منكم مِن غير أن يَمِينَ. لا تبطَروا ولا تفرَحوا بكثرة جمعكم، فإن الله قادر على قمعكم. فاجتنِبوا البطر مرتاعين. ولا تقولوا إن الزحام جمعوا عليك لاعنين، وقد كُذّب الرُسل من قبل وأُوذوا ولُعِنوا، حتى إذا جاء أمر الله فسوّد وجوه المكذّبين.

وقد جرت عادة الله في أوليائه، ونُخبِ أصفيائه، أنهم يؤذَون في مبدء الأمر، ويُسلَّط عليهم أوباشٌ من الزُمر، فيسبّونهم ويشتِمونهم ويكفّرونهم مستهزئين. ولا يُبالون الافتراء، ويقولون فيهم أشياء، ويُغري بعضهم بعضا بأنواع المكر والتدابير، ولا يغادرون شيئا من المكائد والدقارير، ويفترون مجترئين. ويريدون أن يُطفئوا أنوارهم، ويخرّبوا دارهم، ويحرقوا أشجارهم، ويُضيّعوا ثمارهم، وكذلك يفعلون متظاهرين. ويزمعون أن يدوسوهم تحت أقدامهم، ويُمزّقوهم بحسامهم، ويجعلوهم أحقر المحقّرين. فإذا تم أمر التوهين والتحقير والإيذاء، وظهر ما أراد الله من الابتلاء، فيتموّج حينئذ غيرةُ الله لأحبّائه من السماء، ويطّلع الله عليهم ويجدهم من المظلومين، ويرى أنهم ظُلموا وسُبّوا وشُتموا وكُفّروا من غير حق وأُوذوا من أيدي الظالمين. فيقوم ليُتِمَّ لهم سُنّته، ويُريهم رحمته، ويؤيّد عباده الصالحين. فيُلقي في قلوبهم ليُقبِلوا على الله كل الإقبال، ويتضرّعوا في حضرته في الغدوّ والآصال، وكذلك جرت سُنّته في المقرّبين المظلومين. فتكون لهم الدولة والنصرة في آخر الأمر، ويجعل الله أعداءهم طُعْمةَ الأسد والنمر، وكذلك جرت سُنّته للمخلصين. إنهم لا

يُضاعون ويُبارَكون، ولا يُحقَّرون ويُكرَمون، ويُحمَدون ولا يُسَبُّون، ويسعى الرجال إليهم ولا يُترَكون. يُدخَلون في النار، ولكن لا للتبار، ويُولَجون في اللُجّة، ولكن لا للضيعة، بل الله يُظهِر أنوارهم عند الابتلاء، ثم يُهلِك أعداءهم بأنواع الإخزاء، فيُتبِّر في ساعة ما عَلَّوا في مدّة، ويبرّئهم مما قالوا، وينزّههم عما افتعلوا، ويفعل لهم أفعالاً يتحيّر الخَلق برؤيتها، ويُنزل أمورًا يتزعزع القلوب بهيبتها، ويُرِي كل أمر كالصول المهيب، ويُقلّب أمر العدا كل التقليب، ويُري الظالمين أنهم كانوا كاذبين؛ ويؤيدهم بتأييدات متواترة، وإمدادات متوالية متكاثرة، ويجرّد سيفَه على المجترئين.

فاعلموا أنه هو أرسلني عند فساد الديار، وأنه هو ربّ هذه الدار، وأنه سينصرني ويبرّئني من تُهم الأشرار. فاحفظ قصّتي التي هي أحسن القصص، وذُقْ ما نذيقك ولو متجرّعًا بالغصص. أزعمتَ أني أكيد كيدًا للدنيا الدنيّة، وأصيد صيدًا للأهواء النفسانية؟ أيها الجهول! هذا قياس قِسْتَ على نفسك الأمّارة، فإنّك من قوم لا يعلمون حقيقة الطهارة، ويلعنون قومًا مُطهَّرين. أيها الغويّ! إنا لا نبغي المشيخة والعلاء، ولا الأمارة والاستعلاء، ولا نميل إلى الترفّه والاحتشام، ولا نطلب ما طاب وراق من الطعام، ونجد في نفسنا أذواقَ حُبّ الرحمن، وسُكْرًا فاق صهباء الدِنان، فلا نريد أَرائِكَ منقوشة، ولا طنافس مفروشة، إنْ نريد إلا وجه المحبوب، فالحمد لله **على ما أوصلَنا إلى**

المطلوب، وأرانا ما تغيَّبَ من أعين العالمين.

والعجب كل العجب أن عبد الحق الغزنوي يسبّني منذ خمس سنين، ولا يُباحثني كالصالحين المتّقين، ولا يتّقي الله بعد رؤية الآيات، ولا ينتهي عن الافتراءات، وسلك مسلك الظالمين. وإني صبرتُ على مقالاته، وأعرضتُ عن جهلاته، حتى غلا في السبّ والشتم والتوهين، وسمّاني بأسماء الفاسقين، وأشاع اشتهارات، وأرى جهلات، وكان من المعتدين. فرأينا أن نردّ عليه وقومه ونكسر نفوسهم الأمّارات، ونذيقهم جزاء السَّبُعِيّة وسوءِ الجذبات، وإنّما الأعمال بالنيّات، وإنّ الله يعلم ما في القلوب ويعلم ما في الأرض والسماوات. وإنّا أسّسنا كل ما قلنا على تقوى وديانة، وصدقٍ وأمانة، واجتنبنا الرفث وفضول الهذر، وكل شجرة تُعرَف من الثمر. ونستكفي برب الناس الافتنانَ، بهذا الوسواس الخنّاس. ونعلم بعلم اليقين أنه ليس بذاته مبدأ هذا السبّ والتوهين، بل علّمه إبليس آخر من الغزنويين. ولا ريب أنهم هم العلل الموجبة لفتنته، ومنبتُ شُعبتِه، وجرموثةُ* شَذَبَتِه، وحطبُ تلهُّبِ جذوتِه، ومحرِّكُ عَوْمَرته. يذكرون النعلَين عند المقال، كأنهم يتمنّون ضرب النعال، ويتضاغى رأسهم ليُدَقَّ بالأحذية الثقال. وما قام عبد الحق هذا المقام الشاين، إلا بعد ما أرَوه صِفاتي كمَشايِنَ، فويل لهم إلى يوم القيامة، ما سلكوا كأبيهم طرق السلامة، وتركوا سبل الصلاح

* *سهو من الناسخ، والصحيح جرثومة. (الناشر)*

معتدين. وإنهم ما استسرّوا عني حينًا من الأحيان، وأعلم أنهم هم المفسدون وأئمّة العدوان. بيد أني كنتُ أظن أنهم يتعلّقون بأهداب صالحٍ، ويُحسَبون مِن وُلْدِه مع كونهم كمثل طالحٍ، فدرأتُ السيئات بالحسنات، ونافستُ في المصافاة. وكنتُ أصبر على ما آذوني بالجور والجفاء، وأرجو أنهم ينتهون من الغلواء، حتى إذا بلغ شرّهم إلى الانتهاء، وما انتهوا من النُباح والعُواء، فعرفت أنهم المردودون المخذولون، والأشقياء المحرومون. فهناك أردتُ أن أستفلّ غَرْبَهم، ونذيقهم حربَهم، ولا نُجاوز في قولنا حد الديانة، بل نردّ إليهم كلماتهم كردّ الأمانة.

أيها الغويّ المسمّى بعبد الجبّار، لِمَ لا تخشى قهر القهّار؟ أتتكبر بلحيةٍ كثّة، أو مَشيخةٍ مجتثّة؟ أتُخفي نفسك كالنساء، وتُغري علينا جَرْوَك للإيذاء؟ أيستسني الناس بهذا الكيد شأنَك، أو يستغزرون عرفانك؟ كلا.. بل هو سببٌ لهوانك، وعلّة موجبة لخسرانك. تحسب نفسك من أخائر الصلحاء، وتسلك مسلك الأشقياء والسفهاء. تعيش عيشة الفاسقين، ثم ترجو أن تُعَدّ من الصالحين. وإذا زرعتَ حَبَّ السمّ المبيد، فمن الغباوة أن تطمع اجتناء الثمر المفيد. انظرْ نظرة في أعمالك، ولا تُهلِكْ نفسك بسوء أفعالك.

أيها الغويّ! الوقت وقت التوبة، لا أوان الجدال والخصومة. وقد تجلّى ربّنا ليُظهر دينه على الأديان، وقد أشرقت شمس الله لإزالة ظلام

العدوان. فالآن ينظر الله إلى كلّ مكذّب بعين غضبَى، فكيف تظن نفسك من أهل الصلاح والتقوى؟ صدئ بالك، وأرداك أعمالك ومالك، حتى أحالت نَخْوتُك حليتَك، وغَيَّرتْ عَذِرةُ باطنك صورتَك. فمن أمعنَ النظر في وشمك، وسَرّح الطرف في ميسمك، عرف أنّك كالسِّرحان، لا من نوع الإنسان، ومن الأشرار، لا من الصلحاء الأخيار، فاتق الله ولا تكن من الظالمين.

انظُرْ ما هذا المسلك الذي سلكتَ، واتق فإنك هلكت هلكتَ. أُوتيت الدنيا فما شكرتَ، وذُكّرت فما تذكّرت. تُبْ أيها الغويّ اللئيم، وقد شِخْتَ واستشنَّ الأديمُ، وقرُب أن يتأوّد القويم، وحان الوقت الوخيم. ما لك لا تعنو ناصيتك لرب العباد، ولا تترك طرق الخبث والفساد؟ ألا تؤمن بيوم المِعاد، أو تنكر وجود الله القادر على الإعدام والإيجاد؟ فأصلِحْ نفسك قبل أن تأكلك الدودُ، ويجيئك الأجل الموعود، وبادِرْ لما يحسن به المآل، قبل أن يأخذك الوبال، وحَيَّهَلْ بالتوبة قبل أن تنخر عظمك في التربة، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. وإنما الوُصْلة إلى الرحمن.. التقوى وتطهير الجنان. فاتّق الله ولا تكن من المجترئين.

ثم نرجع إلى عبد الحق، الذي تكبر ووثب كالبقّ، فاعلم يا عدوَّ الصالحين، ومكفِّرَ المؤمنين، إنك آذيتني، فقاتلَك الله كيف آذيتني، وعاديتني، فتبًّا لك لما عاديتني. أما كنتُ من المهلِّلين المسلمين؟ أما

كنتُ من المصلّين الصائمين؟ فكيف كفّرتني قبل تفتيش الأحوال، وأفَحْتَ دمَ الصدق بأباطيل المقال؟ وعزوتَ فتح المباهلة إلى نفسك الأمّارة، مع أن الله أذلّك وأراك سوء العاقبة. وكان مرام دعائك المتهالك، أن يجعلني الله كالهالك، فسوّد الله وجهك وأسلمَك إلى لَحْدِ الذلّة، وأدخلك في جَدَثٍ أضيقَ مِن سمّ الإبرة، وأكرمني إكرامًا كثيرا بعد المباهلة، وأعزّني وخصّني بأنواع النعمة، حتى ما انقطع آثارها إلى هذا الوقت من الحضرة، وإن فيها لآيات للمتوسّمين. وأنت رأيت كلَّ رفعتي وعلائي، ثم انتصبتَ بترك الحياء بسبّي وإزرائي. وكيف نأمن حصائد ألسن الفجّار، وما نجا الرسل كلهم من كَلِمِ اللئام الكفّار. ولكن عليك أن تعي مني أن غوائل كلامك عليك، وأن رأسك تليَّن بنعليك، وما ظلمتنا ولكن ظلمت نفسك يا أجهل الجاهلين.

أيها الجهول! تحارب ربك ولا تخشاه، وتختار الفسق ولا تتحاماه. كلما تواضعتُ استكبرتَ، وكلما أكرمتُ حقّرتَ. وما كان هذا إلا لضيق ربعك، وقساوة زرعك*، ثم كان قدرُ الله فيك افتضاحك، فما اخترتَ طريقا كان فيه صلاحك، وما أقصرتَ عن السبّ والإيذاء، وآذيتني فبلّغت الأمر إلى الانتهاء، والآن أكتب جواب اعتراضاتك، ليعلم الناس تعصّبك وجهلاتك، ولتستبين سبيل المجرمين.

فمنها ما هذيتَ في قصة "آتم"، وتركتَ الحياء واخترت الإفك

* *هو سهو، والصحيح:" ذرعك " أي قلبك، كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)*

الأعظم. وقد علمتَ أن "آتم" **قد مات**، وتم فيه نبأُ الله فلحِق الأمواتَ، وصدّق الله فيه قولي وأخزى القتّاتَ، فلا تغضّ عينك كالعمين. وأمّا ما تكلمتَ في موته بعد الميعاد، فهذا حُمقك يا قُضاعةَ العناد. أيها الجهول! كان موت "آتم" مشروطا بعدم الرجوع، وقد ثبت أنه خاف في الميعاد وزجّى أوقاته بالخوف والخشوع، فلما انقضى ميعاده وعاد إلى سيرة الإنكار، أخذه نكال الله ومات في سبعة أشهر من آخر الاشتهار. ومكَر النصارى مكرًا كُبّارًا، واشتهروا خلاف ما وارى، وأمّا "آتم" فما تألّى وما بارى. وقد كان ذكرُ مكرهم في "البراهين"، وكان فيها ذكرُ فتنتهم المتطائرة، وبيان فِريتهم المنسوجة، قبل ظهور ذلك* الواقعة. فانظر إلى دقائق علم الله الخبير، وحكم الله اللطيف القدير، ولا تهذِ كالمستعجلين. ألا ترى إلى شريطة كانت في نبأ "آتم"، والله أحقُّ أن يوفي شرطَه الذي قدّم، فاتّق الله واجتنبْ بهتانا أعظم. ألا تُنزّه نفسك عن نقض الشرائط يا عدوّ الأخيار، فكيف لا تُنزِّه السبّوحَ القدّوس عن تلك الأقذار؟ وتعلم أن "آتم" ما تفوّهَ بلفظة في أيام الميعاد، وترك سيرته الأولى وما أظهر ذرّة من العناد، بل أظهر رجوعه من الأقوال والأفعال، والحركات والسكنات والأحوال، وما أثبتَ ما ادّعى، مِن صولِ الحيّة وغيرها من البهتانات الواهية وما تألّى، بل أعرض وولّى، وشهد قوم من الأشهاد، أنه أنفد أيام الميعاد، بالخوف والارتعاد. ثم إذا أنكر بعد

* *يبدو أنه سهو، والصحيح "تلك". (الناشر)*

الأشهر المعيّنة، فأخذه صولُ المرْضة، وأوصله الموت إلى التربة. فلو كان هذا الإنكار في الميعاد، لمات فيه بحكم رب العباد، وما كان الله أن يأخذه مع خوف استولى على مُهْجته، ولا يبالي ما ذكر في شريطته، إنه لا يُخلِف ما وعد، ولا يطوي ما مهَد، وإنه لا يظلم الناس حتى يظلموا أنفسهم، وإنه أرحم الراحمين.

وإن كنتَ لا تنتهي من التكذيب كاللئام، وتظن أن الفتح كان للنصارى لا للإسلام، **فعليك أن تُقسِم بالله** ذي العزّة، وتشهد حالفا أنّ الحق مع النصارى في هذه القضيّة، وتدعو الله أن يضرب عليك ذلّةً وخزيًا من السماء، إن كان الأمر خلاف ذلك الادّعاء. فإن لم يُصبك بعد ذلك هوان وذلّة **إلى عام**، فأُقِرُّ بأني كاذب وأحسبك كإمام. وإن لم تُقسِم ولم تنتهِ **فلعنة الله عليك يا عدوّ الإسلام**. إنّك تريد عزة نفسك لا عزة خير الأنام.

وأمّا ما ذكرت أن النصارى ومثلك من اليهود، لعنوني في أمر "آتم" وحسبوني كالمردود، فاعلم أيها الممسوخ أن الحُكم على الخواتيم، وكذلك جرت عادة الله من القديم. إن أولياء الله وأصفياءه يُؤذَون في ابتداء الحالات، ويُلعَنون ويُكفَّرون ويُذكَرون بأنواع التحقيرات، ثم يقوم لهم ربهم في آخر الأمر، ويبرّئهم مما قالوا وينجّيهم من ألسن الزمر، وكذلك يفعل بالمحبوبين. أما قرأت أن العاقبة للمتّقين؟ فالفرح بمبدأ الأمر من سِيَرِ الفاسقين، واللعنة التي تُرسَل إلى أهل الفلاح والسعادة،

تُرَدّ إلى اللاعنين، فتظهر فيهم آثار اللعنة. فالإبشار بمثل ذلك اللعن ندامة في الآخرة، وجعلُه أمارة الفتح من أمارات الحمق والسفاهة، بل الفتح فتحٌ يُبديه الله لعباده في مآل الأمر والعاقبة، وكذلك الخزي خزيُ الخاتمة، ولا اعتبار لمبادئ الأمور، بل الحكم كله على آخر المصارعة، وعليه مدار العزة والذلّة، والفتح والهزيمة. وكلّ لعنٍ لم يُبنَ على الواقعة الصحيحة، فهو بلاء على اللاعن وعذاب عليه في الدنيا والآخرة. والعاقلون يتدبّرون الخاتمة والمآل، والسفيه يفرح بمبادئ الأمر ويخدَع الجُهّال. **فانظرْ الآن وتطلّبْ أين "آتم" عمّك الكبير؟** فلو لم يمت فأين ذهب أيها الشرير؟ وتعلم أنّ الله ذكر شرطا في إلهامه فرعاه، **فأخَّر موت "آتم" لخوف عراه،** وأكمل شرط نبئه ووفّاه. ثم إذا تمرّد أرداه، فتمّ ما قال ربّنا وفاح ريّاه، وأذلّ الله من كذّب وأخزاه، وحصحص الحق وبورك مغناه، فهذه شقوتك إن كنت ما تراه.

يا قِرْدَ غَزْنِي أين "آتم" سَلْ عشيرتهُ ... هل ماتَ أو تُلْفِيه حيًّا بينَ أحبابِ
هل تمّ ما قلنا من الرّحمن في الخصْمِ ... هل حانَ أو في حَيْنه شكٌّ لمرتابِ
إنْ كنت تُبصِر أيّها المحجوبُ مِن بخلٍ ... فانْظُرْ إلى الشّرْط الذي أَلْغيْتَ لعتابي
قد مات "آتم" أيّها اللعّان مِنْ فسقٍ ... اِخْسَأْ فإنّ الله صدّقني وأحْبابي
أُنْظُرْ إلى نبأٍ تجلّى الآن كذُكاءٍ ... أَردَى المهيمِنُ عِجْلَ أهلِ الْوَيْدِ بعذابِ
لَلصِّدقُ فيه لأرْباب النّهى أَرَجٌ ... يشفي الصّدور ويروي قلبَ طلاّبِ
عيْنٌ جرتْ لرياض دين الله تُونِسها ... عينُ الرجالِ ولكنْ كنْتَ ككلابِ

ثم إن كنتَ تجعل لعنة الخَلق دليلا على سخط رب العالمين، ففكِّرْ في "عبد الله"* الذي تحسبه من الصالحين، كيف انصبّ عليه مطر الذلّة والهوان واللعنة، وكيف صار ذليلا محقَّرًا مِن أيدي العلماء وعامّة البريّة، وكيف أخرجوه من بلاد كالكَفَرة الفَجَرة، حتى اشتدّت عليه الأهوال، وصفرت الراحة ونُهب المال، وأعوَلَ العيال، وعُذِّب بالعذاب الموقع، ودُقِّق بالفقر الموقع. وطالما احتذى الوَجَى، واغتذَى الشَجَى، واستبطن الجَوَى. وكذلك أنفدَ عمرَه في الكُرَب، وانتياب النُوَب، ثم هاجر إلى الهند مخذولا ملومًا، وعاش مطعونًا مكلومًا. ما زال به

---

* *هو المولوي عبد الله الغزنوي أحد كبار أولياء الله المعروفين في الهند. وقد أوصاه مرشده أن المهدي قد ولد في منطقة بنجاب بالهند وهو على وشك الظهور بل نحن الآن في زمنه. وكان المولوي عبد الله الغزنوي قد رأى في الكشف أن نورا عظيما قد هبط من السماء ونزل على قاديان ولكن أولاده حُرِموا منه.*

لقد لقيه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في شبابه وطلب منه الدعاء، فدخل على الفور حجرته ودعا له، ثم جاءه وأسمعه إلهاما تلقاه بعد الدعاء وهو: "أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين." ثم قال له: إن معنى هذا الإلهام أن نصرة الله ستحالفك على شاكلة الصحابة. وقد توفي هذا الشيخ الصالح قبل دعوى الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

وكان حضرة المسيح الموعود عليه السلام قد رأى في رؤيا أن بيده سيفا مسلولا له بريق ولمعان يخرج منه نور وأنه يضرب به شمالا وجنوبا ويقتل ألوفا من أعداء الدين, وأنه رأى في نفس الرؤيا الشيخ عبد الله الغزنوي وسأله عن تفسيرها فقال: أما السيف فهي الحجج التي أعطاك الله ونصرك بالدلائل والبراهين، وضربك إياه شمالا وجنوبا فهو إراءتك آيات روحانية سماوية، وأما قتل الأعداء فهو إفحام المخاصمين وإسكاتهم.

يوجه حضرته الخطاب هنا إلى المولوي عبد الحق الغزنوي الذي هو أحد تلامذة المولوي عبد الله الغزنوي، غير أنه وقف في صف المعارضين لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام فذكّره حضرته في عدة مواضع من كتبه بما قاله مرشده المولوي عبد الله الغزنوي وما رآه في الكشف. (الناشر)

قطوب الخطوب، وحروب الكروب، ولعنُ اللاعنين، وطعن الطاعنين، حتى تواترت المحن، وتكاثرت الفتن، وأقوَى المجمع، ونبا المرتَع. وكان يُداس تحت هذه الشدائد حتى فاجأه الموت، وأخذه كالصائد الفوتُ، وأدخله في الزمر الفانيين. فما ظنّك.. أكان هو من الصلحاء أو من الفاسقين؟

فثبت أن لعن الفاسقين وأهل العدوان، لا يدلّ على سخط الرحمن، وإيذاء المفسدين وأهل الشرور، لا ينقُص مراتب أهل العمل المبرور، بل يكون لعنهم وسيلةَ رُحمِ حضرة الكبرياء، ووُصلة الاجتباء والاصطفاء. وكذلك بشّرني ربي في تلك الفتنة، وإن شئتَ فارجع إلى "البراهين الأحمدية"، وانظُرْ كيف أخبر ربّي فيها عن هذه القصة، وأنبأَ مِن نبأ "آتم" وفتن النصارى ويهود هذه الملّة، وأخبر أن النصارى يمكرون بك في الأزمنة الآتية، ويهيّجون فتنة عظيمة ويكونون معهم علماء هذه الأمّة. فهذه شهادة من الله قبل هذه الواقعة، فهل أنتم تؤمنون بشهادات حضرة العزّة؟ وإن كنتَ لا تترك الآن ذكر اللعنة، ففكِّرْ في هذا النبأ وانظُرْ مَن لعَنه الله فيه ومَن جعله مورد الرحمة. وانظر أنه كيف أخبر أنّ النصارى يمكرون ويأتون بالفِرية، ثم يفتح الله ويجعل الكرّة لأهل الحق بإراءة الآية الواضحة، وينصر عبده ويُحقّ الحقّ ويُبطل الباطل بالصولة العظيمة، ويخزي قوما كافرين. فهذه الأنباء التي كُتبَت في "البراهين" من الله العلاّم، كانت مكنونةً فيها لهذه الأيام،

ليُتمّ الله حجّته على الخواص والعوام، ولتستبين سبيل المجرمين.

أيها المسارعون إلى الحرب والخصام، والساعون من النور إلى الظلام، ما لكم لا تتفكّرون في الكلام، ولا تتّقون قهر الله ذي الجلال والإكرام؟ أتُتركون في دنياكم ولا ترون وجه الحِمام؟ أآثرتم عيشة الحياة الدنيا، أو نسيتم يوم الأَثام والعقبى؟ توبوا توبوا، وإلى الله ارجعوا، فإنّه لا يُحبّ قومًا فاسقين.

وممّا ادّعيتَ يا مَن أضاع الدين، أنك قلتَ إني أناضل في العربية كالمرتجلين، وأستملي كالأدباء الماهرين، وأكون من الغالبين. وَيْحَك يا مسكين، لِمَ تُخزي اسم دنياك وقد ضاع الدين؟ ألستَ الذي أعرفك من قديم الزمان؟ غبيُّ الفطرة سفيه الجَنان، كثير الهذيان قليل العرفان، الموصوم بمَعرّة لَكَنِ اللسان؟ أتصارع بهذه القوة الفاتكَ البازل، وتحارب الكَمِيَّ الجازل؟ كلا.. بل تريد أن تُري الناس وَصْمتك، وتشهد على جهلك أُبْنتك، وإن كنتَ عزمتَ على مناضلتي، وأردتَ أن تذوق حَرْبي وحربتي، فأدعوك كما يُدعى الصيد للاصطياد، أو يُدنَى النار للإخماد. بيد أني اشترطتُ من الابتداء أن لا يُعارضني أحد إلا بنيّة الاهتداء، فاسمع مني أني أُناضلك على هذه الشريطة، ليهلك من هلك بالبيّنة. فإن اتّفقَ أن أُغلَب في النضال، وتغلب في محاسن المقال، فأتوب على يدك بالإخلاص التام، وأحسبك من الأتقياء الكرام، وإن اتّفقَ أن الله أظهر غلبتي في الجدال، فما أريد منك شيئا إلا أن تتوب

في الحال، وتبايعني بالتّذلّل والانفعال وتُصدّق دعواتي بصدق البال، وتدخل في سِلك جماعتي بالاستعجال، وتؤثرني على النفس والعِرض والمال. فإن كنتَ رضيت بهذه الشريطة، فتعالَ تعالَ بصحّة النيّة، واشْهَدْ مجمعَ الحيّ، ليتبيّن الرشد من الغيّ، وتعلم أني ما أريد في هذه الدعوة، أن تحسبني الناس أديبا في العربية، ولا أبالي أن يرموني بجهالة، أو يقولوا أُمِّيٌّ لا يطّلع على صيغة، إنْ أريدُ إلا إقامة الآية، وإثبات الدعوى بهذه البيّنة، ليتم حجّة الله على الناس، ولينجو الخلق من الوسواس، وليمتنعوا من الغواية، وتنكشف عليهم أبواب الهداية، ويأتوني توّابين مُصدّقين.

فإن كنتَ تُعاهدني على هذا، ولستَ كالذي نقَض العهد وآذَى، فقُمْ بهذا الشرط للنضال، وأْتِني حالفا بوجه الله ذي الجلال، وأَشهِدْ عليه عشرةَ عَدْلٍ من الرجال، ثم اشتهِرْه بعد طبعه بصدق البال، فتراني بعده حاضرا عندك في الحال، كبازي متقضّي على طيور الجبال، فتُمزَّق كلّ ممزَّق بإذن رب العالمين. هذا عهد بيني وبينك، ليظهر منه مَيْني أو مَيْنُك، وليهلك من كان من الكاذبين. وإن الكذب يُخزي أهله، ويُحرق رحله، ولكنكم لا تبالون الله ويوم الإخزاء، وتقولون ما تشاءون بترك الحياء. ألا إن لعنة الله على المزوِّرين، الذين يُخفون الحق ويزيّنون الباطل ويريدون أن يُطفئوا نور الله مفسدين.

وقالوا اهجُروا هؤلاء ولا تلاقوهم مسلِّمين، ولا تُصلّوا على

أمواتهم، ولا تتّبعوا جنازاتهم، واقتلوهم إنْ قدرتم على قتلهم في حين، واسرقوا أموالهم، وانهبوا رِحالهم، وكفّروهم وسبّوهم واشتموهم، ولا تذكروهم إلا مُحقّرين. تبًّا لهم! كيف نحتوا مسائل من عند أنفسهم وما خافوا أحكم الحاكمين. أولئك عليهم لعنة الله والملائكة وأخيار الناس أجمعين، وأولئك هم شرّ البريّة تحت السماء ولو سمّوا أنفسهم عالِمين.

ثم اعلم أني كتبتُ مكتوبي هذا في اللسان العربية، لأختبرك قبل أن أجيئك للمناضلة، فإني أظنّك غبيًّا ومن الجاهلين. وما أريد أن يكون ذهابي إليك صُلفة، وأكون كالذي يقصد عَذِرة، أو يأخذ في يده رَوثة، وما أريد أن أعطي جاهلا بحتًا عزّةَ المقابلة، وأرفع له ذِكره في العامّة. فإن كنتَ من أدباء هذا اللسان، فلا يشقّ عليك أن تريني في العربية بعض درر البيان، بل إن كنتَ بارعًا من غير التصلّف والمِيْن، فستكتب جواب ذلك المكتوب في ساعة أو ساعتين، ولا تردّ مسألتي كالجاهل المحتال، بل تُملي بقدر ما أمليتُ وترسل في الحال. وعليك أن تراعي مماثلتي في النظم والنثر والمقدار، وتأتي بما أتيتُ به من درر كدرر البحار. وإذا فعلتَ كله فأَرسِلْ إليّ مكتوبك العربيّ بالسرعة، ثم أَنزِلُ ساحتك كالصاعقة المحرقة، ويفتح الله بيننا بالحق وهو خير الفاتحين.

وإن كنتَ ما أرسلتَ جوابك إلى سبعة أيام، أو أرسلت في الهندية كعوام، أو عربية غير فصيحة كجَهام، أو أرسلت قليلا من كلام، فيثبت أنك من السفهاء الجاهلين، لا من الأدباء المتكلّمين، ومن

العجماوات، لا من رجال يؤثر نطقهم على ثمار العجمات، فأترُكُك كما يُترَك سقطٌ من المتاع، وأُعرض عنك كإعراض الناس عن السباع، وأشيع في هذا الباب شيئا لأولي الألباب والمستبصرين.

وأمّا ما تدعوني متفرّدًا في المباهلة، فهذا دجلك وكيدك يا غُول البادية. ألا تعلم أيها الدجّال، والغوي البطّال، أن الشرط مني في المباهلة مجيئُ عشرة رجال، لملاعنة وابتهال، في حضرة مُعين الصادقين؟ فما قبلتَ شريطتي، وكان فيه نفعك لا منفعتي. ثم أردتُ أن أتمّ الحجّة عليك وعلى رهطك المتعصّبين، فرضيتُ بثلاثة من رجال عالمين، وخفّفتُ عليك وقنِعتُ يا عدوّ الأخيار، بأن تباهلني مع عبد الواحد وعبد الجبّار، وإنهما أكابر جماعتك وحرثاء زراعتك، وابنا شيخٍ أمين. ففررتَ فرار الظلام من النور، وولّيتَ دُبُر الكذب والزور، ودخلتَ الجُحر كالمتخوّفين. وما وَرَدَ على صاحبَيْك؟ إنهما فرّا وفقَآ عينَيْك، وما جاءاني كالمباهلين. وأيُّ خوف منعهما من المباهلة إنْ كانا يُكفّرانيّ على وجه البصيرة؟ فأين ذهبا إن كانا من الصادقين؟

ومن أقوالك في اشتهارك، أنك خاطبتني وقلتَ بكمال إصرارك: إنك تحترق في النار وتغرق في الماء، ولا يمسّني ضرٌّ لو دخلتهما وأُحفَظُ من البلاء. أما الجواب.. فاعلم أيها الكذّاب أنك رأيتَ كل ذلك بعد المباهلة الأولى، وأُغرقتَ وأُحرقتَ يا فُضلةَ النُّوَكى. فأنبِئْنا أين خرجتَ من الماء؟ بل مُتّ في ماء التندّم كالأشقياء. وأين نُجّيتَ من

النار؟ بل احترقتَ بنار الحسرة التي تطّلع على الأشرار، وما صارت النار عليك بردًا وسلامًا، بل أكلتك نار إخزاء الله ولقيت آلامًا، وكذلك يُخزي الله المفترين.

إن الذين يتكبّرون بغير الحق هم الفاسقون حقّا ولو حسبوا أنفسهم من الصالحين. والذين وجدوا فضل ربّهم يُعرَفون بأنوارهم، ويمشون على الأرض هونًا لانكسارهم، ولا يمشون مستكبرين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قصيدة من المؤلف

إنّي صَدوقٌ مصلِحٌ متزِّدمُ سَمٌّ مُعاداتي وسِلْمِيَ أسلمُ
إني أنا البستان بستانُ الهُدى تأتي إليّ العَين لا تتصرّمُ
روحي لتقديس العليّ حمامةٌ أو عندليبٌ غارِدٌ مترنّمُ
مَا جئتكم في غير وقت عابثًا قد جئتكم والوقت ليل مظلِمُ
صارت بلاد الدين مِن جَدبٍ عتا أَقْوَى وأقفَرَ بعد روضٍ تعلَمُ
هل بقي قوم خادمون لديننا أم هل رأيتَ الدين كيف يُحطَّمُ
فالله أرسلني لأُحييَ دينهُ حقٌّ فهل من راشدٍ يستسلمُ
جُهد المخالف باطل في أمْرنا سيف من الرحمن لا يتثلَّمُ
في وجهنا نور المهيمن لائِحٌ إن كان فيكم ناظرٌ متوسّمُ
اليوم يُنقَض كلّ خيطِ مكائدٍ لَيْنٌ سَحيل أو شديد مُبْرَمُ
مَن كان صَوّالاً فيُقطَع عِرْقهُ يُرديه عاليةُ القنا أو لَهْذَمُ
اَللّهُ آثرَنا وكفَّل أمرَنا فالقلب عند الفتن لا يتجَمْجَمُ
ملِكٌ فلا يُخزَى عزيزُ جنابهِ إن المقرَّب لا أبا لكَ يُكرَمُ
كفِّرْ وما التكفير منك ببدعةٍ رسمٌ تقادمَ عهده المتقدّمُ
قد كفّرتْ مِن قبل صحبُ نبيّنا قالوا لئام كفرةٌ، وهُمُ هُمُ
أُنظُرْ إلى المتشيعين ولعنهم ما غادروا نفسا تُعَزُّ وتُكرَمُ
جاءتك آياتي فأنت تكذِّبُ شاهدتَ راياتي فأنت تُكتِّمُ
يا من دنا منّي بسيف زجَاجةٍ فاحذَرْ فإني فارسٌ مستلئِمُ

يُدرِيْك مَن شهِد الوقائع أنني بطلٌ وفِيْ صفِّ الوغى متقدّمُ
كمْ من قلوبٍ قد شققتُ جذورَها كمْ من صدورٍ قد كلَمتُ وأكلُمُ
وإذا نطقتُ فإن نطقي مفحِمٌ سيفٌ فيقطَع مَن يكيد ويجذِمُ
حاربتُ كلَّ مكذِّب وَبآخَرٍ للحرب دائرة عليك فتعلَمُ
يا لائِمي إنّ المكارم كلّها في الصدق فاسْلُكْ سُبْلَ صدقٍ تسلَمُ
إن كنت أزمعتَ النِّضال فإننا نأتي كما يأتي لصيدٍ ضَيغَمُ
هَلاّ أريتَ العِلم يا ابنَ تصلُّفٍ إن كنتَ عَلاّمًا بما لا أعلَمُ
قد ضاع عمرك فى السفاهة والعَمى طوبى لمن بعد السَّفاهة يحلُمُ
قد جاء إنّ الظنّ إثمٌ بعضُهُ فارفقْ ولا يُضْلِلْ جَنانَك مأثَمُ
الكِبر يُخزي أهلَه العاتي ومَنْ للهِ يصغُر فالمهيمن يُعظِمُ
يَا أيّها الناس اذكروا آجالكم إن المنايا لا تُرَدّ وتهجُمُ
يَا أيّها الناس اعبدوا خلاّقَكم توبوا وإنّ الله ربٌّ أرحَمُ
إني أرى الدنيا تمرّ بساعةٍ غَيمٌ قليل الماء لا يتلوَّمُ
فلهذه لا تُسخِطوا معبودكم توبوا وطوبى لِلّذي يتندّمُ
توبوا وإن العُذر لغوٌ بعدما كُشِفَتْ سرائركم وأُخِذَ المجرمُ
إنا صرَفنا في النصيحة رحمةً ما حَملَ حسنُ بياننا وتكلُّمُ
واللهِ إني قد بُعثْتُ لخيركمْ والله إني مُلهَمٌ ومُكلَّمُ
إن كنتَ تبغي حربنا فنحاربُ بارِزْ فإني حاضر متخيّمُ

القصيدة الثانية

لكَ الحمدُ يا تُرْسي وحِرْزي وجَوْسَقي بحمدك يُرْوَى كلُّ مَن كان يستقي
بذكرك يجري كلُّ قلب قد اعتقى بحبك يحيى كل ميت ممزق
وباسمك يُحفَظ كلُّ نفس من الرَّدَى وفضلُك يُنجي كلَّ مَن كان يُزبَقِ
وما الخير إلا فيك يا خالقَ الورى وما الكهف إلا أنت يا مُتَّكَأَ التَّقِي
وتعنو لك الأفلاك خوفا وهيبة وتجري دموع الراسيات وتَثبِقِ
وليس لقلبي يا حفيظي وملجائي سواك مُريحٌ عند وقت التأزُّقِ
يميل الورى عند الكروب إلى الورى وأنت لنا كهفٌ كبيتٍ مُسَرَدَقِ
وإنك قد أنزلتَ آياتِ صدقنا فويلٌ لغُمْرٍ لا يراها وينهَقِ
ألم يرَ **عِجْلاً** مات في الحيّ داميًا أهذا من الرحمن أو فعل بُنْدقي؟
أرى الله آيته بتدميرِ مفسدٍ وتعرفها عين رأتْ بالتعمقِ
وما كان هذا أوّلَ الآي للعدا بل الآيُ قد كثرتْ فأمعِنْ وحقِّقِ
ولله آيات لتأييد دعوتي فآنِسْ بعين الناظر المتعمقِ
ألا رُبَّ يوم قد بدت فيه آيُنا ولا سيما يوم علا فيه منطقي
إذا قام عبد الله عبدُ كريمِنا* وكان بحسن اللحن يتلو ويبعُقِ
فكلٌّ من الحُضّار عند بيانهِ كمثل عطاشى أهرعوا أو كأَعْشُقِ
وقاموا بجذبات النشاط كأنهم تعاطَوا سُلافًا مِن رحيقٍ مُزَهْزِقِ

---

* *يشير حضرته عليه السلام هنا إلى أحد كبار صحابته وهو المولوي عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه الذي قام بإلقاء محاضرته عليه السلام على مسامع الناس في المؤتمر الأعظم للأديان بلاهور عام ١٨٩٦م. (الناشر)*

ومالت خواطرهم إليه لذاذةً كمثلِ جياعٍ عند خبزٍ مُرَقَّقِ
فأخرجَ حيواتِ العدا مِن جحورها وأنزَلَ عُصْمًا من جبال التعَزُّقِ
وكانوا بِهَمْسٍ يحمدون كأنه حفيفُ طيور أو صداء التمطُّقِ
حداهم فلم يترك بها قلبَ سامعٍ ولا أُذنًا إلا حدا مثلَ غَيْهَقِ
كأن قلوب الناس عند كلامه على قلبه لُفَّتْ كنبتٍ معلّقِ
وكان كسِمْطَيْ لؤلوءٍ وزبرجُدٍ وكان المعاني فيه كالدُّرَر تبرقِ
إليه صبَتْ رَغبًا قلوبُ أولي النُهى إذا ما رأوا دُرَرًا وسِمْطَ التزيُّقِ
ومِن عجب قد أخَذ كلٌّ نصيبَه وفي السِمط كانت دُرره لم تُفرَّقِ
إذا رُفعتْ أستارها فكأنها عذارى أَرَيْنَ الوجهَ مِن تحت بُخْنُقِ
فظل العذارى ينتهبن بجلوة بَعاعَ قلوب المبصِرين بمأزقِ
فشِبْرٌ من الإيوان لم يبقَ خاليا لِمَا ملأ الإيوان عشّاقُ منطقي
وكان الأناس لميلهم نحو كلمتي بأقطاره القصوى كطيرٍ مُرَنَّقِ
وُقوفًا بهم صحبي لخدمة دينهم يرون عجائب ربهم مِن تعمُّقِ
وكم من عيون الخلق فاضت دموعها إذا ما رأوا آياتِ ربٍّ موفّقِ
وكانوا إذا سمعوا كلاما كلؤلؤ وكَلِمًا تُفرّحهم كمِسْكٍ مدقَّقِ
يقولون كرِّرْها وأرْوِ قلوبَنا وهُزَّ علينا من عُذَيْقك وانتَقِ
هنالك لاحتْ آيةُ الحق كالضحى فهل عند أمرٍ واضح مِن مُبَرِّقِ؟
وإني سُقيتُ الماء ماءَ المعارفِ وأُعطيت حكما عافها قلب أحمقِ
يمانيّةٌ بيضاءُ دُرَرٌ كأنها جواهرُ سيف قد فداها لموبَقِ
فكان بكلماتي يجرّ قلوبهم إليه ولم يسحَرْ ولم يتملَّقِ
وأضحى يسُحُّ الماءَ ماءَ فصاحةٍ على كل قلب مستعدّ مُجَعْفِقِ

وكلٌّ أراؤوا مِن أسارير وجههم سرورًا وذوقًا ما ينافي التأزّقِ
ومَن سمع قولا غيرَ ما قرأ فاشتكى كما تشتكي إبلٌ عُقَيبَ التبرُّقِ
وكان كمَمْحُوٍّ بعالَمِ سكتةٍ فيا عجبًا مِن ميلهم كالتعشقِ
وكم حِكمٍ كانت بلَفِّ كلامنا وكم دررٍ كانت تلوح وتبرُقِ
جرائدُ أقوام تصدّتْ لذكرها لما رغبوا في وصف قولي كمنشقي*
ترى زمرَ الأدباء في أخبارهم أشاعوا كلامي للأناس كمُشْفِقِ
وكانت مضاميني كغِيْدٍ بلطفها فأصبَتْ بحسنٍ ثم لحنٍ كيَلْمَقِ
ولما رآها أهلُ رأي تمايلتْ عليه عيونُ قلوبهم بالتوَمُّقِ
ومرَّ على الأعداء بعضُ رشاشها فنَفيانُها قد غسّل أوساخَ خُنْبُقِ
إلى هذه الأيام لم يُنْسَ ذكرُها وكل لطيف لا محالةَ يُرمَقِ
جزى الله عني مخلصي حين قرأها فصارت مضامين العدا كالممزَّقِ
وكان الأناس غداةَ يوم قيامهِ حِراصًا إليه كمثل طفلٍ لِبَلْعَقِ
وأخبرَني مِن قبلُ ربّي بوحيه وقال سيعلو ما كتبتَ ويبرُقِ
فشهدتْ جذورُ قلوبهم أنها علَتْ وفاقتْ وراقتْ كلَّ قلب كصَمْلَقِ
تراءى بعين الناس حسنُ نكاتها وكلماتها كأنها بيضُ عَقْعَقِ
فوقعتْ مضاميني على كل منكر كعَضْبٍ رقيقِ الشفرتَين مُشقِّقِ
وكلٌّ من الأحرار ألقَوا قلوبهم إلينا بصدقٍ غيرَ مَن كان مُمْحَقِ
فصِدْنا بكلمٍ كلَّ صيد معظَّمٍ كأسدٍ ونمر غير فأر وخِرْنِقِ
وتركوا لقولي رأيهم فكأنهم خَذولٌ أتتْ ترعى خميلةَ منطقي

* هكذا ورد في الأصل سهوا والصحيح "كمنتقي" كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

على ألْسُنٍ قد دارَ ذكرُ كلامنا وقد هنّأونا كالحبيب المشوّقِ
وسَرَّ عيونَ الناظرين صفاؤُه كوردٍ طَرِيّ الجسم لم يتشقّقِ
ولما بدَتْ روضُ الكلام تضعضعتْ قلوبُ العدا وتواردوا بالتأنُّقِ
وقد جَدَّ شيخُ المبطِلين لمنعهم فهل عند شوقٍ غالبٍ مِن مُعوّقِ
تسلَّتْ عَماياتُ الهنود بسمعها وما قلَّ بخلُ الشيخ فانظُرْ وعَمِّقِ
ففاضت دموعي مِن تذكُّرِ بخله أهذا هو الرجل الذي كان يتقي
إذا قام للإسماعِ شيخُ "بطالة" ففرّتْ جموعُ كارهين كجَوْرَقِ
ولما تلا الشيخ المزوّر ما تلا فكان الأناس يرونه كيف ينطِقِ
وكان يَعُتُّ الكلِمَ مِن غير حاجة ويأتي بألفاظ كصخرٍ مُدَمْلَقِ
ومَن سمع قولي قبله ظنّ أنه لدى ثمرات العَذْق نافضُ عِسْبِقِ
وقال أرى الإسلام كالجوّ خاليًا وما إنْ أرى الآياتِ مِن صالحٍ تقي
فصال على الإسلام في جمع العدا وقد كان يعلم أنه يتخلَّقِ
وحمِد كبراءَ الهنود ودينَهم وداهنَ مِن وجه النفاق كمُنفِقِ
أراد ليُخزِيَ ديننا من عداوتي فأخزاه ربٌّ قادرٌ حافِظُ الحَقِ
فلما رأوا سِيَرَ الغراب بنطقه فقالوا لك الويلاتُ إنك تنعِقِ
وقالوا له يا شيخُ! وقتُك قد مضى فأحسِنْ إلينا بالسكوت وأَطْرِقِ
ولما أصرّ على القيام وما نآى فقيل: على عقبيك إنك تَدمُقِ
فما طاوعَ الأحرارَ حمقًا وما انتهى فقالوا إذًا صَهْ صَهْ! ولا تكُ مُقلِقِ
فلما أبى فنفاه صدرُ المنتدى بزجرٍ يليق بذي مكائدَ أَفْسَقِ
أهانَ المهيمنُ مَن أراد إهانتي فرَمِّقْ وميضَ الحق إن كنت ترمُقِ
يدُ الله تحمي نفسَ مَن هو صادق وإن المزوّر يضمحلّ ويزهَقِ

وتبقى رجالُ الله عند نهابِرٍ على النار تفنى الكاذبون كزِيبَقِ
إذا ما بدتْ نارٌ من الله فتنةً فكل كذوب لا محالة يُحرَقِ
ومَن يُحرِق الصدّيقَ حِبَّ مهيمنٍ؟ فطوبى لمن يصلى بنار التوَمُّقِ
ومن كذّب الصدّيقَ خبثًا وفِرية فيَسفِيه إعصارٌ ويُخزي ويَسفُقِ
ومهما يكُنْ حقٌّ من الله واضحٌ وإنْ ردَّها زُمْرٌ من الناس يبرُقِ
ومن كان مفتريا يُضاع بسرعة ويهلك كذّاب بسمّ التخلُّقِ
ترى قوله مِن كل خير خاليا كنبتٍ خبيثِ الريح مُرٍّ سَنَعْبَقِ
فيُقطَع نبتٌ لا مُريحٌ وجودُه وكل نخيل لا محالة يَسمُقِ
وإني من المولى عُذَيقٌ مُرَجَّبٌ فيُعرَقُ قاطعُ شجرتي كلَّ مَعْرَقِ
حسبتم قتال الصادقين كهيّنٍ وإن سهام الصادقين سيَخزِقِ
تقدمّتَ "عبد الحق" في السبّ والهجا فأَقرِيك ما أهديتَ لي كالمشوّقِ
وسمّيتَني كلبًا وقد فُهْتَ شاتما وجاوزتَ حدّ الأمر يا أيها الشقي
وما الكلب إلا صورةٌ أنت روحُها فمثلك ينبح كالكلاب ويزعَقِ
رميتُك إذ عرّضتَ نفسَك رميةً ومَن أكثرَ التفسيق يوما يُفسَّقِ
فأسقِيك مما قلتَ كأسًا رويّةً وذلك دَينٌ لازمٌ كيف يُمحَقِ
فذُقْ أيها الغالي طعامَ التبادلِ صَفيفٌ شِواءٌ بالجَبِيز المرقَّقِ
لطَمْناك تنبيهًا فألغيتَ لَطْمَنا فليتَ لنا النعلينِ مِن جلدِ عَوهَقِ
وتسمع مني كلَّ سبٍّ تريدهُ وإنْ ترفُقَنْ في القول والصول أرفُقِ
أطلتَ لسانك كالبغايا وقاحةً ظلمتَك جهلا يا أخا الغُول فاتّقِ
وأعلمُ أنّ جموعكم أيها الغوي عليَّ حِراصٌ لو تُسرّون موبِقي

فأقسمتُ جهدًا بالذي هو ربنا سأُصلِي قلوبَ المفسدين وأُحْرِقِ

أكفُّ لساني كلَّ كفٍّ فإنْ تَرُمْ بِخُبثٍ فإني دامغُ هامةِ الشقي
وأشْرَاك ما قُلْنا وقد فُهْتَ بالهجا بكلِمٍ أسالتْني إليك فأَغْلَقِ
ولا خيرَ في رفق إذا لم تكن به مواضعُ رفقٍ تطلُب الرفقَ كالحقِ
ولو قَبْلَ سبِّ المكْفِرين سببتُهم لكنتُ ظلوما مسرفا غيرَ متّقي
ولكن هجَوا قبلي فأوجَبَ لي الهجا هجاهم فما عدوانُ عبدٍ مُسَبَّقِ
وقد كفَّرونِ وفسّقونِ وإنهم كذئب سطَوا أو مثل سيفٍ مُشَقِّقِ
وما كان قصدي أن أكلّم مثلهم ولكنهم قد كلّفوني فأُقْلَقِ
لهم صولُ كلب والتحَوّي كحيّةٍ وعاداتُ سِرْحانٍ وقلبٌ كخِرْنِقِ
وأرسلني ربي لكَفْءٍ سيولهم وغيضِ مياهٍ قد علتْ مِن تدفُّقِ
وإني من المولى وعُلِّمتُ سبلَهُ وأُعطيتُ حِكمًا مِن خبير مُوفَّقِ
فنجَّيتُ مِن بِدَعِ الزمان وفِتَنِه أناسا أطاعوني وزادوا تعلُّقي
ألم تر كيف يشقُّ فُلْكي حَبابَها وتجري على راس العدا كالمصَفِّقِ
وأُعطيتُ مِن علم الهدى وتأَفَّقَتْ بنا شمسُ جلوتِه فصرتُ كمَشرِقِ
ولي آية كبرى فمَن غضَّ بصرَهُ عنادًا فمَن يعطيه عينَ التأنُّقِ
ألم تر فتنَ الدهر كيف تكنّفتْ وهبَّتْ رياحٌ لا كهيجانِ سَوْهَقِ
فجئتُ من الرب الذي يرحم الورى ويرسل غيمًا عند قحطٍ مُعَنْزِقِ
أنا الضيغم البطل الذي تعرفونه ثِمال الصدوقِ مُبيدُ أهلِ التخَلُّقِ
على موطن يخشى الكذوبُ هلاكَه نقوم بصَمْصَامٍ حديدٍ وأذلَقِ
فمن جاءنا في موطن الحرب والوغى يُداسُ ويُسحَق كالدواء المدقَّقِ
ووالله ألقيتُ المراسي للعدا وقمتُ لسِلْمٍ أو لحرب ممزّقِ

فإن جنحوا للسَّلم فالسِّلم ديننا وإن نُدْعَ في الهيجاء لم نتأبَّقِ
أراهم كآرامٍ وعِيْنٍ بصورهم وإن القلوب كمثل حجرٍ مُدَمْلقِ
وإن تبغِني في ندوة السِّلم تُلْفِني وإن تَدْعُني في موطن الحرب تلتَقِ
ونخضعُ للأعداء قبل خضوعهم ونرحل بعد الخصم مِن كلّ مأزَقِ
فإن أسلموا خير لهم ولئن عصوا فنكلِّمهم مِن بعده كالمشقَّقِ
وقد جئتكم من نحو عشرين حِجّةً ففكِّرْ أهذا مدّةُ المتخَلِّقِ
عجبتَ عَماءً أن أكون **ابنَ مريمٍ** وإن شاء ربي كنتُ أعلى وأسبَقِ
وتُذكِّرُ لَعْنَ الخَلق في أمر "آتمٍ" وقد لُعِنَ الأبرارُ قبلي فحَقِّقِ
وإن الورى عُميٌ يسبّون عجلةً فليس بشيء لعنُهم يا ابنَ أحمقِ
بل الله يُرجِع لعنَ كلّ مزوّرٍ إليه فيُمسي بالملاعين مُلحَقِ
فدَعْ عنك ذِكر اللعن يا صيدَ لعنةٍ ألم تر ما لاقيتَ بعد التَلَقْلُقِ
أتزعم يا مَن لَعَنَني بالجفاء أن تخلُص مني بل تُدَقّ وتُسْحَقِ
كحَبٍّ إذا ما وقع في مِطْحَن الرَّحى فيعرُكُه دور الرحى ويُدقِّقِ
لعنتم وإن الله يلعن وجهكم ولا لَعْنَ إلا لعن رَبٍّ ممزّقِ
وكنت أغُضُّ الطرفَ صبرًا على الأذى فلما انتهى الإيذاء ذقتم تخفُّقي
وإن كان صلحاء الزمان كمثلكم فلا شك أني فاسق بل كأفسَقِ
وما إن أرى في نفسك العلم والتقى تصول كخنْزير وكالحمر تشهَقِ
رقصتَ كرقص بغيةٍ في مجالسٍ وفَسَّقتَني مع كون نفسك أفسَقِ
وما نكرَه المضمار إن كنتَ أهله ونأتيك يومَ نضالكم بالتشوقِ
ومهما يكنْ حقٌّ من الله واضح وإنْ ردَّها زمرٌ من الناس يبرُقِ

فذَرْني وربي إنني لك ناصحٌ وإن أكُ كذّابًا فأُرْدَى وأُوْبَقِ
دعوتَ عليّ فردَّه الله ساخطا عليك فصرتَ كمثل ثوبٍ مُخَرْبَقِ
تعالوا نناضِلْ أيها الزمر كلكم ليهلك مَن أرداه سمّ التخلُّقِ
أراكم كذئب أو ككلب بصولكم وضاهَى تكلُّمُكم حمارًا ينهَقِ
لقد ذاق منا قومنا غيرَ مرّةٍ حُسامًا جراحتُه إلى الفَرْقِ ترتقي
وإن كنتَ في شكّ فسَلْ شيخَ فَجرةٍ غويًّا غبيًّا في البطالة مُوبَقِ
لكلّ امرئٍ عزمٌ لأمر، وعزمُه إهانةُ دين الله فاذهَبْ وحَقِّقِ
ألا أيها الشيخ الشقيّ تَعمَّقِ وفكِّرْ كإنسان إلى ما تَنهقِ
أكفّرتَ قوما مسلمين خباثةً؟ ظلمتَك جهلا فاتّقِ الله وارفُقِ
وتُقطَع أيدي السارقين لدرنهم* فقُلْ ما جزاء مكفّرٍ ومفسِّقِ
صبرنا على طغواك فازددتَ شقوةً وخادعتَ أنعامًا بقولٍ ملفَّقِ
وإن شئتَ بارِزْني وإن شئت فاستتِرْ فإني سأمحو كلَّ ما كنتَ تنمقِ
وجدتُك مِن قوم لئام تأبّطوا شرورا وسبّوا الصالحين كحِذْلِقِ
سببتَ وأغريتَ اللئام خباثةً عليّ فآذَوني ككلب يحرّقِ
فأُقسِم لو لا خشية الله والحيا لأزمعتُ أن أُفنيك سبًّا وأَدهَقِ
وقد ضاقت الدنيا عليك كما ترى ودينك هذا فاتّقِ الله وارفُقِ
وإن كنتَ قد سرّتْك عادةُ غلظةٍ فمَزِّقْ ثيابي، مِن ثيابك أمزِقِ
ألم ترَ شمل الدين كيف تفرّقتْ فليتَ كمثلك جاهلٌ لم يُخلَقِ
وكذّبتَ نبأ الله في خائرٍ فنى وقلتَ بخبث أنه لم يَصدقِ

* هو سهو من الناسخ، والصحيح "لدرهم" كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

وتنحت بهتانا عليّ كفاسق وتعزي إلى نفسي جرائمَ مُوبِقِ
أترمي بريئًا يا خبيثُ بذنبه ألا تتّقي الديّانَ يا أيها الشقي
فطورًا تشير إليّ خبثًا وتارةً تشير إلى حزبي بكذبٍ تخلُّقِ
ووالله إن جماعتي في جموعكم كشجرة عَذْقٍ عند نبت السَنَعْبَقِ
ومثل الذي يتّبعني بعد سِلمه كمثل ذُرَى سِرٍّ مُرَبًّى بأودَقِ
فلما عراه المِحْلُ رُبِّيَ ثانيًا فصار كمَوْلِيّ الأَسِرَّةِ مُوْرِقِ
أتنكر آيَ الله خبثا وشقوة وآيةَ مَيْتٍ بالدم المندفِقِ
أَذَلَّتْ لي الأعناقُ من غير آية؟ أ جاءتني العلماء من غير مقلِقِ؟
إلى الله نشكو مِن ظنونِ مكذِّبٍ وإن المكذّب سوف يُخزى ويُسحقِ
أتنكر آيةَ خالقِ الأرض والسماء أ أنت تحارب قَدْرَه أيها الشقي
أ تُذعِرنا كالذئب يا كلبَ جيفةٍ وإنا توكلنا على حافظٍ يقِي
رضينا بربٍّ يُظهِر الخير والهدى رضينا بعُسرٍ إنْ قضى أو تَفَنَّقِ
أأنت تؤيد فاسقا غير صالح؟ أَحَلْتَ بجهلك أيها الغول فاتَّقِ
وإني إذا ما قمتُ لله مخلصا فأيَّدني ربي معيني مُوفِّقي
وكان لي الرحمن في كل موطن فمَزَّقْتُكم بالله كلَّ الممزَّقِ
وأُعطيتُ قلمًا مثل منجرِد الوغى فيُسعِر نيرانا وكالبرق يخفُقِ
مِكَرٌّ مِفَرٌّ مُقبِلٌ مُدبِرٌ معًا كدأبِ أجارِدَ عند موقدِ مأزَقِ
وإنّ يَراعي صارمٌ يحرق العدا كنار وما النيران منه بأحرَقِ
وإن كلامي مثل سيف مقطعٍ يَجُذُّ رؤوس المفسدين ويفرُقِ
وإني إذا حاولتُ كَلِمًا فصيحة فناولَني ربي أفانينَ منطِقي

وأُعطيتُ في سبل الكلام قريحةً كحوجاء* مِرقال تزُجُّ وتدبق*
ونَزَّهها الرحمن عن كل أَبْلَةٍ وصُيِّرَ غيري كالحقير الحَبَلَّقِ
علَونا ذُرَى قُنَنِ الكلام وقولُنا زلالٌ نَميرٌ لا كماءٍ مُرَنَّقِ
فلو جاءنا بالزمر سَحبانُ وائلٍ لفرَّ من الميدان خوفًا كخِرْنِقِ
وفاضت على شفتي من الله رحمة فقولي ونطقي آية للمحققِ
وكلِم كسِمطَي لؤلوء قد نظمتها وجمل كأفنان العُذَيْق الأسْمَقِ
إذا ما عرضْنا قولنا كالمناضلِ كَميتٍ سقطم* أو كثوبٍ مُخَرَّقِ
فما كان يوم الجمع إلا لذلكم ليبدي ربي شأنَ رجلٍ موفَّقِ
أبادكم الرحمن خزيًا وذلة وأيدني فضلاً ففكِّرْ وعَمِّقِ
ألا رُبَّ خصمٍ كان أكوى كمثلكم مصرًّا على تكفيره غير مُعتِقي
فلما أتاه الرشد مِن واهبِ الهدى أتاني وبايَعَني بقلبٍ مصدِّقِ
رأيتُ أولي الأبصار لا ينكرونني وينكر شأني جاهلٌ مُتحزِّقِ
لهم أعين لا يبصرون بها فمَنْ يُريهم إذا فقدوا عيونَ التأنُّقِ
ألا أيها الغالي إلامَ تُفسِّقُ؟ فدونك نصحي واتق الله وارفُقِ
وما جئتكم مِن غير آيٍ وحُجّةٍ وقد أشرقتْ آياتُ ربي وتُشرِقِ
فما وقع منها خُذْ كمَنْ يطلب الهدى وما لم يقَعْ فاترُكْ هواك ورَنِّقِ
رأيتُ كثيرا مِن لئام وإنني كمثلك ما آنستُ رجلا زَبَعْبَقِ
تستَّرَ لُبُّك تحتَ كبرٍ ونخوةٍ كلُبِّ عفا في بطنِ جوزٍ مُرَصَّقِ

---

* يبدو أنه سهو والصحيح: كعوجاء أو كهوجاء. (الناشر)
* يبدو أنه سهو والصحيح: تدلق. (الناشر)
* هذا سهو الناسخ، والصحيح "سقطتم". (الناشر)

أراك كفَدَّانٍ تخاذَلُ رجلُه فلا بد من رجلٍ يسوق ويزعَقِ
وما أنت إلا كالعصافير ذلةً وتحسب نفسك مِن عَماء كسَوذَقِ
فتُرجَم يا إبليس ثم بحَربةٍ تُمزَّقُ تمزيقا كثوبٍ مُشَبْرَقِ
ورثت لئاما قد خلوا قبل وقتكم تشابهت الأطوارُ يا أيها الشقي
وساءتْك ما قلنا فعينُك قد عمتْ كمثل خفافيشٍ إذا الشمس تُشرِقِ
ومَن لم يكن في دينه ذا بصيرة يكُنْ أمرُه تكذيبَ أمرٍ محقَّقِ
فقَومتم أمورا لم يكن عِلمُها لكم فإني عليكم يا عِدا الحقّ أُشفِقِ
وتُنكِر ما أبدى المهيمنُ عزّتي ولا تنتهي بل كالمجانين تَشمَقِ
وبونٌ بعيد بين شِلْقٍ وقِرْشِنا فنبلَعكم كالقرش يا أهلَ عَمْلَقِ
ونحن بحمد الله نِلْنا مدارجًا وصرتم كمَيتٍ أو كخَشْبٍ مُدَهْدَقِ
أحاطت بنا الأنوار من كل جانب ومِن أفقنا شمسُ المحاسن تُشرِقِ
وينمو من الرحمن حقٌّ مطهَّرٌ وما كان مِن غُولٍ فيَفنَى ويُمحَقِ
ووالله إني مؤمنٌ ومُحِبّهُ أأنت علينا بابَ ذي المجد تُغلِقِ
وتذكُرني كالمفسدين محقِّرًا تقول فقيرٌ مفلِسٌ بل كمُدْحَقِ
أتفخر يا مسكين مِن قِلّة النهى بمالٍ وأولادٍ وجاهٍ ونُسْتُقِ
وما الفخر إلا بالتقاة وبالهدى ولا مالَ في الدنيا كقلبٍ يتّقي
تسبّ وقد شاهدتَ صدقي وآيتي وإن الفتى بعد البصيرة يَعْتَقِي
على رأس مائةٍ بُعثَ رجلٌ مجدّدٌ **حديثٌ صحيح** لا كقولٍ مُلفَّقِ
أتعزو إليّ الافتراءَ خباثةً وقد عصمني ربُّ الورى مِن تخَلُّقِ
نشأتُ أحِبُّ الصدقَ طفلا ويافِعًا وكهلاً ولو مُزِّقتُ كلَّ الممزَّقِ

شربنا زُلالاً لا يُكدَّر صفوُه وذُقنا شرابا محيِيًا مِن تذوُّقِ
عجبتُ لعقلك يا أسيرَ ضلالةٍ! تركتَ نميرَ الماء مِن حُبِّ غَلْفَقِ
أتُبصِر في عينَيْ مخالفك القَذى وعينُك مِن جِذْلٍ عتا تتشقَّقِ
تموت بوادٍ ذي حِقافٍ عَقَنْقَلٍ وتكره روضًا مِن عُذَيْقٍ مُلبَّقِ
تجلّى الهدى والشمسُ نضَّتْ نقابَها وأنت كخفّاش الدُّجى تتأبَّقِ
وسمّيتَني أشقى الرجال تعصبا فتعلَم إنْ مِتنا غدًا أيُّنا الشقي
ولا يستوي المرءانِ هذا محقِّقٌ وآخر يتبَع كلَّ قولٍ مُلفَّقِ
أرى رأسك المنحوس قَفْرًا من النهى وقلبًا كمَوماةٍ ونفسًا كسَلْمَقِ
متى ضلَّ عقلُ المرء ضلَّت حواسُهُ فلا يُؤنِس الوحلَ المزِلَّ ويزمقِ
كذلك متّمْ مِن عناد ونقمةٍ فأَنَّ لكم تأييدُ رَبٍّ مُوفِّقِ
أفي الكفر أمثالٌ جفاءً وغلظةً لكم أيها الرامون رَمْيَ التخَلُّقِ
أهذا هو التقوى الذي في جموعكم أتلك الأمور ومثلها شأنُ متّقي
وقلتُ لكم توبوا وكُفُّوا لسانكم فما كان فيكم مَن يتوب ويتّقي
ولله آياتٌ لتأييد أمرنا وإنا كتبنا بعضها للمحقّقِ
على قلبِ أهلِ الله نزلتْ سكينةٌ وقلبك يا مفتونُ يَعوِي وينهَقِ
أيا لاعِنِي إن السعادة في التُّقَى فخَفْ قهرَ ربٍّ حافظِ الحقّ وَاتَّقِ
إذا كتب أن الموت لا بد تُدرِكُ فموت الفتى خير له مِن تَخَلُّقِ
ولا يفلح الإنسان إلا بصدقهِ وكل كَذُوبٍ لا محالةَ يُوبَقِ
وما انفتحتْ شدقاك بالسبّ والهجا وتكذيبِ أهل الحق إلا لِتُمْلَقِ
وإنّ سِقام الجسم ملتمَس الشفا وليس دواء في الدكاكين للشقي
ووالله لو لا حَربتي لم تكَدْ ترى نَهِيكًا تَحُطُّ ضلالةً حين تَسْمُقِ

وإني كتبتُ قصيدتي هذه لكم فمِن حَيّكم مَن كان حيًّا ليَنْمُقِ
كَبُكْمٍ أراكم أو كأَحْمِرَةِ الفلا غدَا طَلْقُ ألسُنِكم كزوجٍ تُطلَّقِ
أتحسب أن القول قولُ الأجانبِ وقد صُبَّ مِن عيني كماءٍ مُدَغْفِقِ
فما هي إلا كلمةٌ قيل مثلها فقالوا أعانَ عليه قومٌ كمُشْفِقِ
ففَكِّرْ أَتَعلمُ مُنشئًا لي كتَمْتُه فيملو* القصائد لي بحِجْرِ التأبُّقِ
أتنحَتُ كذبًا ليس عندك شاهدٌ عليه وتنبَح كالكلاب وتَزْعَقِ
رضيتَ بحكَّاكاتِ إبليس شقوةً وآثرتَ سبل الغي يا أيها الشقي
أتنكر آياتي وقد شاهدتَها أتُعرِض عن حق مبين مُزَوَّقِ
وقد **مات "آتم" عمُّك المتنصّرُ** وقد حُقَّ أن تُمحَى لُحاكُم وتُحْلَقِ
رأيتم جوازيكم من الله ربّنا ومُتّمْ كموت المفسد المتخلّقِ
وقد قطع ربّي آنُفَ الجمع كلِّهم وأخزى العِدا وأبادَ كلاً بمأزِقِ
تكنَّفَ قلبَك صَدأُ ظلماتِ الشقا فما إنْ أَرَى فيك الهدايةَ تُشرِقِ
وقد ضاع ما عُلِّمتَ إن كنتَ عالما كزُبُرٍ إذا حُمِلتْ على ظهرِ زِهْلِقِ
أراك ومَن ضاهاك رَبْرَبَ جهلةٍ تلا بعضُكم بعضا كأحمقَ أنْزَقِ
رأيتم عواقبكم بترك سفينتي وضاعتْ خلاياكم ومتم كمُغْرَقِ
وعندي عيونٌ جاريات من الهدى هنيئا لرجل قد دناها ليستقي
وأُعطيتُ علمًا يملأ العين قُرّةً ونورا على وجه المخالف يَبْزُقِ
وإني أرى العادين في تيهة الشقا ومن جاءني صدقا فقد دخل جَوسَقِي
ولو كنتُ دجّالا كذوبا لضرَّني عداوةُ مَن يدعو عليَّ لِأُوبَقِ

---

* *يبدو أنه سهو، والصحيح: "فيملي". (الناشر)*

دعَوا ثم سبُّوا ثم كادُوا فخُيِّبوا لِما حفظتْني عينُ ربٍّ مُرَمّقِ
ينازع أقوامٌ ويشتدّ حربهم فيُعلِي المهيمن كلَّ مَن كان أصدَقِ
فليتَ عقولَ الزمر قبلَ افتضاحها يَصِلْنَ إلى حقٍّ مبين مُحقَّقِ
وما أنا إلا منذرٌ عند فتنة وقد جئت مِن ربي كراعٍ مُعفِّقِ
ولي قِرْبة شدُّوا عليَّ عِصامَها لأُروِيَ أقواما بماءٍ أغدَقِ
فمَن يأتِني صدقا كعطشانَ ساعيًا يَجِدْ كاهلي هذا ذَلولاً لمستقِي
فقُمْ شاهدًا لله إن كنتَ خاشعا وأكرَمُ ناسٍ عنده فاتِكٌ تقي
وقد كنتُ لله الذي كان ملجائي وذلك سرٌّ بين روحي ومُزعِقي
رأيتُ وجوهًا ثم آثرتُ وجهه فواهًا له ولوجهه المتألّقِ
أُحِبُّ بروحي فالِقَ الحبِّ والنوى وإني لأَوَّلُ مَن نَوَى كلَّ مُلْزَقِ
ولله أسرار بعاشق وجهه فسَلْ مَن يشاهد بعضَ هذا التعلُّقِ
لِحِبّي خواصٌّ في الوصال وفُرقةٍ ففي القرب يحييني وفي البعد يُوبِقِ
وأُعطيتُ مِن حِبّي قميصَ خلافةٍ قميصَ رسول الله أبيضَ أَمْهَقِ
وأُعطيتُ عَلَمَ الفتح عَلَمَ محمدٍ (ﷺ) وأُعطيتُ سيفا جَذَّ أصلَ التخَلُّقِ
فتلك علامات على صدق دعوتي فإن كنتَ تطلبها ففَتِّشْ وعَمِّقِ
وإنّ صراطي مثل جسرٍ على اللظى حفافاه نارٌ فَأْتِني أيها التقي
إذا ما تحامَتْني الأراذلُ كلهم فأيقنتُ أن شريفَ قومي سيلتقي
أرى اللهَ يُخزي الفاسقين ويصطفي عبادا له قُتلوا بسيف التعشُّقِ
ويأتي زمان إنّ ربي بفضله يَجُذُّ رؤوس المفسدين ويفرُقِ
وقد صُقِلتْ كَلِمي كمثلِ سَجَنْجَلٍ فترنو إليها مُقْلةُ المتأنّقِ
أرى غِيْدَ أسرارٍ نَضَضْنَ لِرَمْقِنا ومِن غيرنا باعَدْنَ كالمتأبّقِ

إذا ما خرَجنَ من الغَبِيط بزينة فأصبى رَشاقتُهنّ قلبَ مُرَمّقِ
إذا ما تجلَّى حسنُهن بنوره فرحَلتْ كجاليةٍ ظلامٌ يَغْسِقِ
وقَلَّ مِن الأخدانِ مَن كان حسنُه كحسنِ عذارانا وخَدٍّ أبرَقِ
فجُعِلتْ به ذاتُ الكسور لنا السُّوَى وآنستُ وَهْدَ الجائرين كصَمْلَقِ
وليس كشرح الصدر للمرء نعمةٌ ومِن أردءِ الأوقاتِ وقتُ التأزُّقِ
ونفسٌ كمَوماةِ السباع مُبيدةٌ بها الذئب يعوي كالأسير المخَنَّقِ
فما خفتُ صولتَهم وحقَّرتُ أمرَهم بما صانني ربي بعين التومُّقِ
وكإنْ ترى مِن مفسدٍ هو صائلٌ عليّ فيدفعه الحفيظ ويَعْفِقِ
تجلّتْ من الرحمن أنوارُ حجّتي فما الخوف إن تُعرِض وإنْ تتعزَّقِ
سينصرني ربي ويُعلِي عمارتي فهُدُّوا ورُضُّوا مِن أكُفٍّ وأسْوُقِ
تبصَّرْ خصيمي هل ترى مِن علامة بها يُعرَف الكذّاب عند المحقِّقِ
إذا ما نقول هلُمَّ لا تنبري لنا وفي بيتك المنحوس تهذي وترتقي
دعوتَ فأكثرتَ الدعاء لنَكْبَتي فواللهِ زِدْنا بعده في التفَنُّقِ
عرَضْنا عليكم رحمةً أمرَ ربّنا فلم تحفِلوا كِبرًا وقد كنتُ أُشْفِقِ
وقلتُ لكم توبوا ولا تتركوا الحيا فزدتم عنادا واعتديتم كأفسَقِ
وإني حبَستُ النفسَ عند فضولِكم صَبورًا على سبٍّ وشتمٍ مُحرِّقِ
ووالله لا يُخزَى الصدوقُ بقولكم أيُرْهِقُ قتَرٌ وجهَ مَن كان أصدَقِ
فتوبوا إلى الرب* الورى واستغفروا ولا تشتروا بالحق عيشًا مُرَمَّقِ

* سهو، والصحيح: "رب الورى". (الناشر)

خاتمة الكتاب

إنّ كتابي هذا آخر الوصايا للعُلماء، الذين تَصدَّوا للتكذيب والاستهزاء. يا حسرة عليهم وعلى ما أروا من حالةٍ! إنّهم فتحوا على الناس أبواب ضلالةٍ، في زمنٍ تطايرت فيه الفتن كشُعلةٍ جَوّالةٍ، والناس كانوا تائهين في مَوماةٍ بَطالةٍ، فألقاهم العلماء في وهدٍ مُغتالةٍ، وجمعوا لهم قذائفَ جهالةٍ، ثم أوقدوا قذائفهم بقَبسٍ وذُبالةٍ، وصاروا لهم كضِغْثٍ على إبّالةٍ، واختارُوا مَدرَج اليهود، وسلكوا مَسلكَ الغيّ والعنود، وما كانوا مُنتهين.

فغلّظتُ عليهم بعد ما أَكدَى الاستعطافُ، ولم ينفع التملّق والائتلاف، ولم أر فيهم أهل قلبٍ صافٍ، ولا فتًى مُصافٍ. وإنهم رغبوا من العِلم في المِشُوف المعْلَم، ومن الدَّر في الدرهم، وتركوا طوائفَ أسرارٍ فاقت في السَّناعة، كرجُلٍ يتخطّى رقابَ نُخب الجماعة، أو كائرةٍ تتحرّى طرق الشناعة، وكانوا يعرفون شأني ومقامي، ورأوا آياتي وسمعوا كلامي. وإني أكثرتُ لهم وصيّتي حتى قيل أني مِكثارٌ، وما عُفْتُ أن يسبّني أشرارٌ، فما نفعهم كلامي ومقالي، وما انتفعوا بتفصيلي وإجمالي، وكان هذا أعظمَ المصائب على الإسلام، لو لا رحمة الله ذي الجلال والإكرام. فالحمد لله على ما رحم وأرسل عبده بالآيات، وأنزل من البيّنات المفحِمات، وقطع دابر المفسدين.

إنه أحسن إلى الخَلْق وأتمّ حُجّتي، وأظهر لهم آيتي، وأعلا لهم رايتي، وأماط جلباب الشبهات، وما بقي إلا جَهام التعصّبات. وأبدَى في تأييدي أنواع العُجاب، ونجّى أولي الألباب من حُجُبِ الارتياب. وحان أن أطوي البيان وأقص جناح القصّة، وأُعرِض عن قوم لا يبالون الحق بعد إتمام الحجّة، فاعلموا أنني الآن أصرف وجهي عن كلّ من أهان، من الظالمين المتجاهلين، وأُبعِدُ

نفسي من المنكرين الخائنين، وأعاهد الله أن لا أخاطبهم من بعد وأحسبهم كالميّتين المدفونين، ولا أكلّم المكفّرين المكذّبين، ولا أسُبّ السابّين المعتدين، ولا أضيّع وقتي لقوم مسرفين، إلا الذين تابوا وأصلحوا وجاءوني مسترشدين، دقُّوا باب طلب الهداية، واستفسروا لثلجِ القلب لا كأهل الغواية، وآمنوا مع المؤمنين.

وهذا آخر ما كتبنا في هذا الباب، وندعو الله أن يفتح لعباده سبل الصدق والصواب، والحمد لله في المبدأ والمآب. **وعليه توكّلنا، وإليه أنبنا، وإياه نستعين. رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ، آمين.**

تمّت

الراقم ميرزا غلام أحمد القادياني ٢٦ مئي سنة ١٨٩٧م